جولة خاطفة

في جمهورية الجبل الأسود

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

القول المُجسّد من الجولة في الجبل الأسود
أو
جولة خاطفة في جمهورية الجبل الأسود

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

ⓒ دار الثلوثية للنشر ، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر

القول المسجد من الجولة في الجبل الأسود / محمد ناصر العبودي - الرياض ، ١٤٣٣هـ

١٦٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٥-٣-٩٠٣٠٩-٦٠٣-٩٧٨

١- الجبل الأسود - وصف ورحلات أ- العنوان

ديوي ٩١٠,٤ ١٤٣٣/٥٧٤٥

رقم الايداع: ١٤٣٣/٥٧٤٥

ردمك: ٥-٣-٩٠٣٠٩-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر ماليف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القريم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،

١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الريض، عام ١٤٢٤هـ.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارابيبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٩) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.

(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) طبع في مطابع العلى في الرياض، عام ١٤٢٨هـ.

(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية)، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٧هـ.

(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض، عام ١٤٢٨هـ.

(١٠٦) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٧) قوادي لوب وانتيقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) طبع مطابع النرجس عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٠٨) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٨هـ.

(١٠٩) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٥هـ.

(١١٠) خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين، (من سلسلة الرحلات في بلاد الشمال)، (تحت الطبع).

(١١١) مقال في زيارة منطقة الأورال، (من سلسلة الرحلات في وسط روسيا)، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٢) بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان، (من سلسلة الرحلات الكاريبية)، طبعته مطبعة لنرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٣) جمهوريات القبائل الروسية (رحلات في جنوب روسيا)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٤) في غرب سيبيريا، مشاهدات وأحاديث في شئون المسلمين (الرحلات السيبيرية)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٥) شمال أستراليا، رحلة وحديث في أحوال المسلمين (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٦) إلمام بالمحيط الهادي من أستراليا إلى جزيرة قوام (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٧) إلى الشرق الأقصى الروسي (الرحلات الروسية) تحت الطبع.

(١١٨) حصاد الرحلات، نشرته مكتبة الرشد في الرياض، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٩) رحلات ونظرات حول المسلمين في العالم، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٢٠) قول أوفى، في كوسوفا، (تحت الطبع).

(١٢١) القول المجسّد من الجولة في الجبل الأسود، وهو هذا الكتاب.

(١٢٢) رحلة إلى المدينة المنورة قبل ستين سنة: نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٣٣١هـ.

(١٢٣) في أعماق الصين الشعبية: رحلة في مقاطعة منقوليا الداخلية وحديث عن الإسلام والمسلمين: طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٣١هـ.

(١٢٤) العودة إلى غرب إفريقية، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٣٢هـ.

(١٢٥) في أقصى شرق الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٣٢هـ.

مؤلفاته المطبوعات في غير فن الرحلات

(١٢٦) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٢٧) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٨) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٩) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٣٠) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٣١) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٣٢) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣٣) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣٤) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١٣٥) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٦) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٧) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٣٨) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٣٩) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٤٠) وجهة نظر، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

(١٤١) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٤٢) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٤٣) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٤٤) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٤٥) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٤٦) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٧) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٨) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٤٩) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٥٠) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٥١) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٥٢) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

(١٥٣) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض في مجلدين- عام ١٤٢٥هـ.

(١٥٤) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٥٥) الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها (ثلاثة عشر مجلداً) نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٦) الحوار في الإسلام، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٧) دور الأقليات الإسلامية في الدعوة إلى الله، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٨) الأقليات المسلمة: الواقع والمأمول، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٩) العالم الإسلامي: الواقع والمعاناة، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٦٠) هذا ما أستوحيته من الناس، كتاب أدبي طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٦١) جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله في مساعدة الإخوة المسلمين وبخاصة في بلاد الأقليات المسلمة، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٦٢) العلاقات بين المملكة العربية السعودية وتركيا، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ

(١٦٣) أخبار الملا ابن سيف نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٦٤) أخبار قني نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٦٥) أخبار مطوع اللسيب نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٦٦) مشاهد من بريدة قبل ٧٥ سنة، تنشره دار الثلوثية في الرياض.

(١٦٧) المطوع في باريس، نشره النادي الأدبي في الرياض.

(١٦٨) كلمات قضت (في مجلدين كبيرين: معجم بالفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت) نشرته دارة الملك عبدالعزيز في الرياض.

(١٦٩) معجم النخلة في المأثورات الشعبية، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

(١٧٠) معجم المطر والسحاب، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٧١) معجم الأنواء والفصول، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٧٢) معجم الديانة والتدين، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٧٣) معجم ألفاظ الصيد والقنص، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ

(١٧٤) معجم ألفاظ المرض المرض والصحة في المأثور الشعبي (تحت الطبع).

(١٧٥) معجم ألفاظ الحرف والصنائع في المأثورات الشعبية (تحت الطبع).

(١٧٦) معجم الحيوان عند القامة، نشرته مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض عام ١٤٣١هـ.

(١٧٧) الشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن حميد كما عرفته: نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣٢هـ.

(١٧٨) معجم أسر بريدة في٢٣ مجلداً، نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣٠هـ.

(١٧٩) المستدين: قصة طبعت في مطبعة النرجس عام ١٤٣١هـ.

مقدمة:

نحمد الله رب العالمين الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ونصلي ونسلم على خاتم النبيين عبدالله ورسوله الأمين محمد بنّ عبدالله وعلى آله وأصحابه ومن والاه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن بعض الرحلات يصح أن تسمى برحلات الأماني لأن كاتب هذه السطور كان تمنى القيام بها فترة طويلة ومن ذلك الرحلة إلى جمهورية الجبل الأسود الواقعة على البحر الأدرياتيكي وظهرها في منطقة البلقان.

وذلك أنها كانت داخلة في جمهورية يوغسلافيا الاتحادية السابقة التي كانت تضم ست جمهوريات هي صربيا والبوسنة والهرسك وكرواتيا ومقدونيا وسلوفينيا، و(الجبل الأسود)، و قد تيسرت لي زيارتها كلها ما عدا جمهورية الجبل الأسود، إذْ زرت جمهورية الصرب عندما كانت داخلة في اتحاد يوغسلافيا الذي معناه: السلاف الجنوبيون في وقت مبكر من اتصالنا بالمسلمين خارج بلدان الأكثريات المسلمة، وذلك أن تلك الزيارة كانت في عام ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م، أي منذ ست وثلاثين سنة بالتقويم الهجري القمري أو ٣٥ سنة بالتقويم الميلادي الذي هو شمسي.

وسبب الزيارة في ذلك الوقت المبكر أن شيوعية الرئيس تيتو رئيس يوغسلافيا في ذلك الحين كانت أخف من شيوعيات البلدان الشيوعية الأخرى التي تسمى نفسها بلاد الاشتراكية أو بالاشتراكيات، إذْ أبقى على المشيخة الإسلامية الرئيسية للمسلمين في يوغسلافيا وعلى مشيخات إسلامية للمسلمين في الجمهوريات الأخرى.

فاتصلت المشيخة الإسلامية في يوغسلافيا بالملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت رحمه

الله، طالبة المساعدة على مشروعات محددة لهم منها ترميم جامع خسرو بيك ومعهد الغازي خسرو بيك، ومعهد علاء الدين الإسلامي في بريشتنا، ودعم المشيخة الإسلامية في سراييفو، فأمر الملك فيصل بأن أذهب أنا وأختار معي شخصاً آخر يرافقني، وكنت وقتها أشغل وظيفة (الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة).

وقد سافرنا بالفعل إلى بلغراد بالطائرة، ومنها إلى سراييفو بالقطار، ثم عدنا إلى بلغراد وسافرنا منها بالقطار أيضاً إلى بريشتنا عاصمة كوسوفا، واطلعنا على حاجات المسلمين هناك وكتبنا تقريرنا ورفعناه إلى الملك فيصل رحمه الله، فسارع إلى اعتماد المبلغ الذي اقترحناه وهو مليون ومائتان وخمسون ألف دولار أمريكي وأمر وزارة المالية بتحويلها إلى هناك على دفعات.

وكانت آخر دفعة بعد وفاته حملتها أنا وسلمتها للمشيخة الإسلامية في سراييفو قبل انفراط عقد يوغسلافيا، وأظن أنني ذكرت ذلك في كتاب: (ذكريات من يوغسلافيا).

وعندما انفرط عقد يوغسلافيا زرت جميع جمهورياتها السابقة وكتبت عنها كتابات موسعة، فكان لمقدونيا نصف كتاب عنوانه: (بلغاريا ومقدونيا) وكان لكرواتيا وسلوفينيا كتاب قائم بذاته عنوانه: (كرواتيا وسلوفينيا).

أما جمهورية الجبل الأسود فبقيت نائية بجانبها عني كما كانت قد نأت جانباً عن جمهوريات يوغسلافيا الأخرى بين الجبل الأسود والبحر الأخضر.

وفي عام ١٤٢٥هـ جد جديد إذْ بحث المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي الذي انعقد في مقر رابطة العالم الإسلامي في مكة

المكرمة وضع المسلمين في صربيا والجبل الأسود بعد الأحداث الكبيرة التي وقعت في منطقة البلقان، وطلب من الأمانة العامة للرابطة أن ترسل وفداً إلى هناك.

فكان ذلك وتألف الوفد مني ومن الأخ رحمة الله بن عناية الله مدير إدارة المؤتمرات في الرابطة.

وسافرنا بالفعل إلى بلغراد عاصمة صربيا عن طريق اسطنبول ثم تجولنا في صربيا، وكان آخر ذلك جولة في إقليم السنجق الذي تقطنه أغلبية مسلمة وله وضع الاستقلال الذاتي داخل جمهورية صربيا.

ومنه انتقلنا بطريق البر إلى جمهورية الجبل الأسود حيث بدأنا الزيارة كما تراه هنا، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

مكة المكرمة: المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

تعريف وملخص الرحلة

الجبل الأسود وبالصربية سرنا غورا (Crna Gora) يعني بالإيطالية مونتِ نقرو (Montenegro) جمهورية تقع في الجزء الجنوبي لشبه جزيرة البلقان على البحر الأدرياتيكي الذي يبلغ طول مساحته ٢٩٣ كيلومتراً، وهي بلاد جبلية تتخللها وديان الأنهار ومجاري المياه والبحيرات التي يصل عددها ٤٠ بحيرة، وقمة بوبوتوف كوك (Bobotov Kok) في جبال دورميتور (Dumitor) هي أعلى موقع فيها، ويبلغ ارتفاعها ٢٥٢٢ متراً فوق مستوى سطح البحر.

وتبلغ مساحتها ١٣.٨١٢ كيلومتراً مربعاً أي أكبر قليلاً من لبنان، وتكون الغابات ٨٠% من سطحها، وبالإضافة إلى ثرواتها النباتية والحيوانية فهناك مناجم الحديد والمينا والألمنيوم والفحم.

يرجع تاريخ جمهورية الجبل الأسود الحديث إلى اعتراف مؤتمر برلين باستقلالها عن الدولة العثمانية في ١٧ يوليه ١٨٧٨، وفي ٢٨ أغسطس ١٩١٠م أعلن أميرها نيقولا بتروفيتس نيغوش (Nikola Petrovic Njegos) نفسه ملكاً عليها مؤسساً مملكة الجبل الأسود، ثم انضمت إلى مملكة الصرب والكروات والسلوفان بعد الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٨م، وبعد استيلاء الشيوعيين على الحكم بعد الحرب العالمية الثانية أصبح الجبل الأسود إحدى جمهوريات يوغسلافيا الاتحادية.

ثم بعد انهيارها اتفقت جمهوريتا صربيا والجبل الأسود على إلغاء مسمى يوغسلافيا وتكوين اتحاد ثنائي بين جمهوريتي صربيا والجبل الأسود بتاريخ ٤ فبراير ٢٠٠٣م، ولكن سكان الجبل الأسود يتطلعون إلى الانفصال عن صربيا بقوة كبيرة، ويعولون على الاستفتاء الذي سيتم في عام ٢٠٠٦م، وقد اتخذت السلطات الرسمية بعض الإجراءات نحو تحقيق هذا الانفصال، بالإضافة إلى

تأسيس نقاط الجمارك والجوازات بين حدود الدولتين فقد اتخذ برلمان الجبل الأسود في جلسته المؤرخة ٢٠٠٤/٧/١٢م، شعاراً وعلماً خاصين بجمهورية الجبل الأسود وتحدد يوم ١٧ يوليه من كل عام يوماً وطنياً، وأصبح اليورو العملة المحلية المتداولة بدلاً من الدينار الصربي، ويتضح من أحاديث المسلمين أنهم يؤيدون هذا الانفصال، لأنه يزيد في علاقتهم مع جمهورية البوسنة والهرسك وجمهورية البانيا وإقليم كوسوفا، بينما يحاربه الصرب المتطرفون بقولهم أن هذا يؤدي إلى قطع الصلات القومية بين الجمهوريتين، وأنه يؤدي إلى سيطرة الألبان المسلمين على الجبل الأسود.

كما أن المسلمين في إقليم السنجق المسلم في صربيا لا يؤيدون الانفصال بينهما، لأن في ذلك تكريساً لتقسيم السنجق، ووقوع كل جزء منه في دولة مغايرة لها سياستها المستقلة التي قد لا تكون في مصلحة مسلمي السنجق وبخاصة الذين سيكونون منهم في الجزء الذي يسيطر عليه الصرب[1].

ويبلغ عدد سكان جمهورية الجبل الأسود ٦١٦.٢٥٨ نسمة.

وتشير التقديرات إلى أن نسبة المسلمين لا تقل عن ٢٥% ويتكونون من البوشناق ثم الألبان وأقلية من الترك والغجر، ولكن الوجود السياسي لهم في حكومة الجبل الأسود محدود، لا يساوي نسبتهم السكانية، مع أن الألبان يمارسون النشاط السياسي من حزب رابطة الديمقراطية الألبانية الذي يرأسه فرمات دينوسا وحزب الاتحاد الديمقراطي الألباني الذي يرأسه محمد بردي، والبوشناق أكثرهم في الحزب الديمقراطي الاشتراكي.

---

(١) لقد جرى الاستفتاء في جمهورية الجبل الأسود فقرر شعبها الاستقلال، والانفصال عن صربيا.

وفي الحكومة الحالية التي يرأسها ميلو ديوكانوفيتش (Milo Djukanovic) يشغل المسلمون منصب نائب ئيس الوزراء للاتحاد الأوروبي الذي يتولاه يوسف كالامبروفيتش (J.Kalamperovic)، ووزير حماية الأقليات عظيم هايديناغا (Hajdinaga Gzim)، ووزير بدون وزارة سعاد نومانوفيتش (S.Numanovic)، وبالإضافة إليهم فهناك نواب وزراء ومحافظو مدن من المسلمين مثل روجاني وبار.

يرجع التاريخ الإسلامي لبلاد الجبل الأسود وبلدان سواحل البحر الأدرياتيكي عامة إلى عهد الفتوحات العربية البحرية في البحر الأبيض المتوسط ومن أهمها غزوات الأغالبة، وقد بدأ نفوذهم بفتح أسد بن الفرات لجزيرة صقلية في يوم الثلاثاء ١٨ربيع الأول ٢١٢هـ/ ١٧ يونيه ٨٢٧م.

وفي عهد الوجود الإسلامي في جزيرة صقلية الذي استمر إلى عام ٤٧٢هـ غزا العرب البلدان الواقعة على ساحل البحر الأدرياتيكي الشرقي، حيث انطلق الجيش العربي من بلدة ابوليه وهي مدينة بار في الجبل الأسود حالياً حتى وقعت تحت حصارهم راغوسة وهي مدينة دبروفنيك (Dubrovink) الحالية في كرواتيا في عام ٨٦٦م.

ويقال: إن القائد الفاطمي جوهر بن عبدالله الصقلي هو من مسلمي راغوسة.

وبلاد جُرواسية ودلماسية كانت تطلق على ما يعرف حالياً بالجبل الأسود وكرواتيا، وقد زار الشريف أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله الحسني المعروف بالإدريسي المتوفى في عام ٥٥٠هـ/١١٦٤م، هذه البلاد حتى وصل إلى مدينة بلغراد عاصمة اتحاد صربيا والجبل الأسود.

غير أن الوجود الإسلامي العربي لم يستمر طويلاً، وربما يكون انتهى في بلدان الساحل الشرقي لبحر الإدرياتيك قبل أن ينتهي في جزيرة صقلية، إذْ لا يوجد إلا القليل من أخبار المسلمين فيها، ولكن الحكم الإسلامي العثماني لم يجد مقاومة كبيرة في السيطرة على الجبل الأسود في عام ١٤٨١م.

ومع أن الجبل الأسود أصبح سنجقاً تولاه اسكندر بك في عام ١٥١٢هـ، إلا أنه استمر يتمتع بحكم ذاتي استغله الأمير نيقولا الأول بتروفيتش نيغوش (Nicola I Petrovic Njegos) الذي تولى الإمارة في عام ١٨٦٠م، ووضع دستورها في عام ١٨٦٨م ثم تم الاعتراف باستقلالها عن الدولة العثمانية بموجب مؤتمر برلين في عام ١٨٧٨م.

وفي عهد الاتحاد اليوغسلافي جرى توسيع مساحتها بما ضم إليها من السنجق وألبانيا والبوسنة والهرسك، إذْ تشكلت حدودها الحالية في ١٩٤٥م.

وقد زار وفدنا: وفد الرابطة، جمهورية الجبل الأسود بدءاً من يوم الخميس ١٤٢٦/٤/١٨هـ الموافق ٢٠٠٥/٥/٢٨م، حيث كان في استقباله في بلدة روجاني الشيخ بيرام أغيتش نائب رئيس المشيخة الإسلامية في الجبل الأسود والأستاذ جيمو جيماتوفيتش إمام مسجد دوغنيسكا ثم انضم إليهما الشيخ إدريس ديمروفيتش رئيس المشيخة الإسلامية السابق، وقد رافق الثلاثة وفد الرابطة في زيارته للمساجد والجماعات المسلمة في الجبل الأسود، وقد شملت الزيارة ما يلي:

١- بودغوريسا (Podgorica):

عاصمة جمهورية الجبل الأسود كان اسمها القديم ريبنسا (Ribnica)، وبعد أن تم نقل العاصمة من ستنيه (Cetomke) إليها سميت

تيتو غراد في عام ١٩٤٥م، وأوائل العهد اليوغسلافي على اسم الرئيس اليوغسلافي جوزيف بروز تيتو، ثم سميت بودغوريسا في عام ١٩٩٢م، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٤٠ ألف نسمة، ويقدر نسبة المسلمين فيهم ١٥% ولهم في الوقت الحاضر في العاصمة ثلاثة مساجد، هي:

أ- مسجد ستارو دوغانيسكا (Straodoganjska): ويعرف أيضاً باسم اسكندر جاويش بني في عام ١٥٨٢م، وقد جدد بناؤه عدة مرات، ومن ذلك ما تم منذ عامين، ولا يزال الترميم يجري في بعض الغرف المجاورة حيث تتخذ منها المشيخة الإسلامية مكاتب إدارية، وهو مسجد متوسط الحجم نظيف.

ب- مسجد عثمان أغيستا (Osmanagica): وقد بناه محمد باشا عثمان أغيش في عام ١٧٨٥م، ثم تعرض إلى التخريب والهدم إبانن الحرب العالمية الأولى، وقد انتهى من ترميمه في العام الماضي ٢٠٠٤م، ولا يوجد إمام راتب متفرغ يعمل فيه في الوقت الحاضر، ولكن الأستاذ جيمو رجيماتوفتش وهو خريج جامعة الأزهر يتولى إمامة المسلمين في صلاة الجمعة.

جـ- مسجد حسنوفا في قرية ميلوش (Miliesu) التي تقع على بعد ٧ كيلومترات من بودغوريسا سكانها ألبان مسلمون يقدر عددهم ١٤٥ عائلة، وقد تم شراء قطعة أرض ومساحتها ١٥ ألف متر مربع بمبلغ ١٥٦ ألف مارك في عام ١٩٩٨م، تبرع ببناء المسجد الأستاذ حسن عثمان جوكاي المهاجر من قرية ميليشو إلى كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية، وتم البناء في عام ٢٠٠٠م، وإمامه الشيخ جواهر بن أحمد خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

وبجوار المسجد يقام مبنى كبير من دورين على مساحة من الأرض قدرها ١٢ ألف متر مربع، والبناء الذي تم هو أعمدة الدورين وتم تسقيف معظم الدور الثاني ولم يجر أي شيء من أعمال التشطيب، لأن الدعم المالي وقدره أربعون ألف مارك الذي صرف لهم من البنك الإسلامي للتنمية انتهى ويحتاج إلى ٨٠٠ ألف يورو لإكمال البناء وتأمين الأثاث المطلوب للمركز الإسلامي، والشيخ رفعت فيزيتش رئيس المشيخة الإسلامية الذي لم يتمكن وفد الرابطة من مقابلته لأنه كان في زيارة إلى دول الخليج لطلب المساعدة عندما وصلنا الجبل الأسود.

٢- توزي (Tuzi):

قرية تقع عند مصب نهر تارا على بعد ١٦ كيلومتراً إلى الشرق من بودغوريسا، ويقدر سكانها بحوالي عشرين ألف نسمة أكثريتهم من الألبان، ويوجد مسجد كاظم بك (Cazim Begova)، وقد بني في عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، ورمم في عام ٢٠٠٠م، وهو مسجد صغير، إمامه الشيخ إسلام بابيتش، ويقوم بتدريس بعض الأطفال في غرفة مجاورة، ويقول: إنهم يعملون لبناء مسجد أكبر جديد.

٣- أولسين (Ulcini):

محافظة تقع في أقصى جنوب الجبل الأسود بين رأس مندرا في الشمال ومصب نهر بونا في البحر الإدرياتيكي في الجنوب، و مساحتها ٢٥٥ كيلومتراً مربعاً، وقد فتحها الأتراك في عام ١٥٧١م، وبقيت في حكمهم إلى أن ألحقت بأمارة الجبل الأسود في عام ١٨٨٠م، ويقدر عدد سكانها بحوالي ٢٦ ألف نسمة، أغلبهم من الألبان.

وقد اجتمع فيها وفد الرابطة مع بعض الأئمة واستمع إلى الشيخ رجب ليكا رئيس الأئمة عن تاريخ المسلمين في أولسين حيث ذكر: أن في عهد الحكم العثماني كان بها دار إفتاء وسبع تكايا ومدرسة إسلامية وعشرون مسجداً في بلدة أولسين نفسها، وأما حالياً فيوجد في المحافظة ٢٦ مسجداً و٢٣ إماماً.

وفي بلدة أولسين خمسة مساجد مفتوحة، والسادس تم تحويله إلى متحف، ولهم قطعة أرض في وسط البلدة مساحتها ٧٠٠ متر مربع يرغبون بناء مبنى فيها من دورين يكون مركزاً تعليمياً لأطفال المسلمين وتقدر تكلفته بـ ٥٠ ألف يورو.

ثم زار وفد الرابطة معهم:

أ- **مسجد البحارة** (Marnareve): بني قديماً ولكنه هدم في عام ١٩٣١م، ويعملون على إعادة بنائه مركزا إسلامياً متكاملاً في موقعه الممتاز القريب من الساحل، ومساحته ٢٤٠ متراً مربعاً، وتقدر تكاليف بنائه ٥٠٠ ألف يورو.

ب- **مسجد الكاروبازارات** (كما هو مكتوب على بابه باللغة العربية) وأما اسمه المحلي فربازار (Vrhpazar Dzamija) بناه نور الدين بك في عام ١٧٢٩م، وتم ترميمه في عام ١٩٩٥م، ويقع في وسط البلدة على مفرق شارعين رئيسيين، وبجواره مكاتب رئيس الأئمة وإمام المسجد ومكتبة صغيرة، وإمامه الشيخ رفعت يوسف.

جـ- **مسجد فلادمير** (Vladimiru): في قرية فلادمير تابعة لأولسين تبعد عنها بنحو ٢٠ كيلومتراً بالقرب من حدود الجبل الأسود مع ألبانيا،

وسكان القرية عددهم ٥٠٠ أسرة ألبانية مسلمة، لهم مسجد بجوار مقبرة ويعملون على ترميمه منذ عام ١٩٩٦م، وقد أوشك على الانتهاء، وإمامه الشيخ سليمان حيدروفيتش.

٤- بار (Bar):

محافظة تقع تحت سفوح جبال روميا (Rumija) على الساحل الجنوبي لبحر الإدرياتيكي وتبلغ مساحتها ٥٩٨ كيلومتراً مربعاً، ويقدر عدد سكانها بحوالي ٤٥ ألف نسمة، ونسبة المسلمين منهم نحو ٤٥%، وبالإضافة إلى بلدة وميناء بار تضم ٢٢ قرية، وكان فيها ٢٨ مسجداً تقام فيها صلاة الجماعة.

وأما بلدة بار نفسها فهي مدينة قديمة عرفت في التاريخ الإسلامي باسم ابوليه وقد فتحها الأغالبة في عام ٨٦٦م، واتخذوها قاعدة لغزواتهم في بلاد جرواسية، وهو ما يعرف حالياً باسم الجبل الأسود وكرواتيا والبوسنة والهرسك.

ثم جاء الأتراك إليها في عهد السلطان محمد الفاتح في عام ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، ثم استقلت عنهم في عام ١٨٧٨م.

ثم جعلها نيقولا نيغوش ملك الجبل الأسود ميناء حديثاً في ٢٥ مارس ١٩٠٥م.

ويقدر عدد سكان بلدة بار ١٢ ألف نسمة، نصفهم مسلمون، ولهم مسجدان، كما يقول رئيس الأئمة الشيخ سليمان مصطفيتش، ويبنون في الوقت الحاضر ما يلي:

أ- **مسجد شكانيفيتشا** (Skanjevica): كان قد بناه أحمد بك شكانيفيتش في عام ١٢٣٤هـ/١٨١٩م، ثم تهدم خلال الحرب العالمية الأولى ولم يبق منه إلا مئذنته الشامخة، وموقعه بجوار قلعة تركية قديمة وحوله بعض المباني الأثرية، ويعملون على إعادة بنائه.

ب- **مركز بار الإسلامي**: تعمل الجماعة الإسلامية على بناء مركز إسلامي على وقف فاطمة عمر بشيتش، تبلغ مساحة الأرض ٣٢٠٠ متر مربع، وقد تم وضع الأساس ويعملون على تسقيفه، ويذكر الأستاذ بايزيد قرادوزفيتش (B. Karaduzovic) بأن مساحة المسجد ٤٢٠ متراً مربعاً، وسيكون بجواره مدرسة وقاعات اجتماعات ومكتبة ومكاتب، وتقدر التكلفة الاجمالية بحوالي ثلاثة ملايين يورو.

جـ- **مسجد وليم سيلومركويفيتس** (Veljem Selu Mrkojevici): بني في عام ١٧٥٢م، وقد بناه وليم سيلو وهو مسيحي أسلم وحسن إسلامه، ولكن المسجد الذي مساحته ٧٠ متراً مربعاً تعرض إلى التخريب ويحتاج إلى مبلغ ٧٠ ألف يورو لإصلاحه.

د - **مسجد بودغراد** (Podgrad): الذي بني في عام ١١٣٥هـ/١٧٢٣م، ويقع في وسط السوق في أعلى الجبل، وهو مسجد صغير وملحق به غرفة جعلت مكتباً لجماعة المسلمين، وقد زاره وفد الرابطة واجتمع مع إمامه الشيخ محي الدين ميليامي (M. Milaimi) وبعض المسلمين، وهو أحد المسجدين اللذين يقصدهما المسلمون في صلواتهم وشئونهم في بار.

وأما المسجد الآخر فهو مسجد عمر باشا الذي بني في عام ١٦٤٢م، وإمامه الشيخ سعيد شاجيروفيتش (S. Sacirovic).

المشـــاهدات

الجبل الأسود
البوسنة
والهرسك
صربيا
الجبل الاسود
كوسوفا
البانيا
البحر الادرياتي

يوم الأربعاء: ١٤٢٦/٤/١٧هـ/ ٢٠٠٥/٥/١٢م:

من صربيا إلي الجبل الأسود:

وصلنا الحدود البرية بين جمهورية صربيا وبين جمهورية الجبل الأسود، وكان معنا إخوتنا ومرافقونا من إقليم السنجق المجاور لجمهورية الجبل الأسود، على سيارتين فيهما عشرة أشخاص وتتبعهما سيارة واحدة فيها ممثلو المشيخة الإسلامية في (الجبل الأسود) كانوا وصلوا إلى مدينة (توتين) التي تبعد ٨ كيلومترات داخل جمهورية صربيا، لكي يأخذونا معهم إلى الجبل الأسود.

وذلك حسب اتفاق بين الطرفين الإدارة الدينية في إقليم السنجق والإدارة الدينية في جمهورية الجبل الأسود، مثلما كان فعل أهل بلغراد عندما ذهبوا بنا إلى منتصف الطريق بين (نوفي بازار) عاصمة إقليم السنجق وبين مدينة بلغراد عاصمة صربيا.

ولكن الإخوة المرافقين من أهل السنجق امتنعوا عن أن يدعونا نذهب مع أهل الجبل الأسود إلاَّ من مدينة (روزايا) الواقعة داخل (الجبل الأسود) لأن فيها مدرسة لهم أرادوا أن نراها، ولكي نتناول الغداء فيها معهم.

عندما دخلنا (جمهورية الجبل الأسود) لم يتغير شيء لا من طبيعة الأرض التي هي جبلية متطامنة أي فيها جبال غير عالية، وهي في غاية الإخضرار و الخصب من أعشاب الربيع: ربيعهم الذي هو صيفنا، ولا من وجود الغابات على ظهور التلال غير العالية، وعلى متون الجبال العالية، وفي الأودية الضيقة.

جانب من مدينة روزايا في جمهورية الجبل الأسود

وحتى اللغة هي واحدة وهي اللغة الصربية، وألوان الناس واحدة فالسكان هنا هم من الصرب إلا أنهم تساكنهم أقلية من المسلمين البوشناق الذين هم أبناء عم البوسنويين المسلمين، و البوشناق هنا أيضاً مسلمون.

قرية باش:

أولى القرى التي وصلنا إليها بعد أن دخلنا إلى جمهورية الجبل الأسود تسمى (باش) ويرى مسجدها من الطريق الذي يربط بين صربيا والجبل الأسود، وهو الذي كنا نسير معه وهذا المسجد ذو منارة رشيقة

عالية بيضاء اللون، بل نقول: إنها فضية اللون، وكأنما هي عمود أو علم من النور، يرتفع في هذه المنطقة الخضراء ليسر مرأه القلوب المؤمنة وليكون شاهداً عدلاً على وجود المسلمين في هذه البلاد.

وقد عرفنا من عادة المسلمين في صربيا، وبخاصة في إقليم السنجق أن يبنوا المسجد في أعلى منطقة من القرية، ويرفعوا منارته ولا يجعلون شيئاً من الأبنية أو البيوت تلتصق به، كل ذلك من أجل إبرازه وبيان وجوده وقد تحقق لهم ذلك.

وعند هذه البلدة أو القرية جسر على نهر يتدفق بالمياه.

ويبلغ عدد سكانها خمسمائة بيت.

لم نقف في قرية (بانش) وواصلنا سيرنا، ورأيت بيوتاً ريفية متفرقة بعضها من الخشب اللامع وربما كان ذلك لأنهم طلوه بطلاء ملمَّع.

والمنطقة جبلية والطريق يرتفع قليلاً قليلاً في مكان منها مرتفع، وقد تعددت الأنفاق في الجبال التي مر بها الطريق ولكن أكثرها أنفاق قصيرة ولا تعد شيئاً بالنسبة إلى الأنفاق الموجودة في مكة المكرمة، لا من حيث الطول، ولا من ناحية التهوية، والإضاءة في داخلها.

ومنتهي هذا الطريق الذي نسير فيه هو مدينة (بودقوريسا) التي كانت تسمى إبان الحكم اليوغسلافي (تيتوقراد) أي مدينة تيتو، و(تيتو) هو جوزيب بروز تيتو رئيس جمهورية يوغسلافيا الذي اشتهر بانشقاقه على الاتحاد السوفيتي في شيوعيته وأيده الغرب وبخاصة الولايات المتحدة نكاية بالاتحاد السوفيتي.

ولم يقتصر سعيه على ذلك وإنما عمل على تزعم حركة عدم الانحياز عاملاً في ذلك مع جواهر لا نهرو رئيس وزراء الهند وجمال

عبدالناصر رئيس مصر، معلناً أنه ليس مع روسيا ضد أمريكا ولا مع أمريكا ضد روسيا.

مدينة روزايا:

على سطح مسجد مراد الثاني في روزايا والنهر يجري بجانبه

هذه أول مدينة نصلها من مدن جمهورية (الجبل الأسود) وما زلنا بصحبة الإخوة من أهل السنجق يتبعنا بالسيارة أهل الجبل الأسود.

قصد الإخوة رأساً مدرسة إسلامية ذكروا أنها فرع للمدرسة الثانوية في (نوفي بازار) في صربيا وهي كالأولى تابعة للمشيخة الإسلامية في إقليم السنجق.

تقع المدرسة في مبنى جيد من الأسمنت المسلح ولكنه ضيق الغرف لأنه لم يبن ليكون مدرسة ذكروا أن أحد الإخوة من محبي الخير قدمه هبة ابتغاء وجه الله وهي مدرسة للبنات خاصة.

دخلنا إلى المدرسة بعد أن خلعنا أحذيتنا داخل بابها الخارجي مثلما عليه الحال في كل المدارس والمساجد التي دخلناها.

أما المساجد فهذا ظاهر، وأما المدارس فإنهم وضعوا أحذية مفتوحة كالنعال السبتية يستعملها الإنسان داخل المدرسة بعد أن يخلع حذاءه، ولا شك في أن أصل ذلك أن بلادهم تسقط عليها ثلوج كثيرة في الشتاء وأمطار في الصيف، فيكون من ذلك وحل قد تتسخ منه أرض المدرسة.

أول فصل دخلناه كان عند معلمة لغة إنكليزية اسمها (قولتينا والتسستش) والقيت في الفصل على طالباته كلمة تتضمن النصح وحفظ الوقت وواجب الفتاة المسلمة المتعلمة تجاه مجتمعها، و قد طلبوا مني ذلك، وإلاَّ فإنه ليس من عادتي أن أسارع إلى إلقاء الكلمات وهذا هو الفصل الثاني الثانوي.

وبعده دخلنا إلى الفصل الثالث والطالبات ومدرساتهن على درجة عالية، بل أعلى درجة من النظافة والذوق وهن أكثر نضارة من اللاتي في الشارع.

ثم انتقلنا معهم لمشاهدة مهاجع الطالبات فرأيتها نظيفة مرتبة كل سرير فوقه سرير آخر، وذلك لضيق المبنى الذي لا يسمح لكل طالبة أن يكون لها سرير ليس فوقه أو تحته سرير آخر.

مدخل مدرسة البنات الإسلامية في (غولتينا باتش)
قرب روزايا في الجبل الأسود، مفروش بالسجاد

ولاحظت منذ أن وصلت إلى إقليم السنجق وهم يقولون: إن هذه المنطقة من جمهورية الجبل الأسود مثله في كون أغلب سكانها من البوشناق المسلمين أنهم يعتنون، بل يهتمون بتربية بنات المسلمين

اهتماماً كبيراً، وهذا يدل على صدق نظرتهم إلى الأمور، لأن المرأة هي التي تربي الأولاد، وهي التي يوجه لها أعداء الإسلام الشبه والتشكيك في الإسلام عن طريق تعدد الزوجات، وحق الطلاق للزوج ومضاعفة الإرث للرجل بالنسبة إلى ميراث البنت.

حول روزايا:

جلسنا في غرفة الإدارة في المدرسة وقالوا: سوف نجلس للقهوة والصلاة، وكنت وددت أن يكون معنا الإخوة الذين جاءوا معنا من بودغريسا عاصمة الجبل الأسود، ولكنني لم أرهم وكانوا اقتصروا على البقاء في المدينة حتى ينتهي الإخوة أهل السنجق من عرض ما يريدون عرضه علينا، وحدثوني عن مدينة (روزايا) هذه فذكروا أن ٩٠% من سكانها هم من البوشناق المسلمين، و٢% من الصرب، و٣% من الألبان.

وأن فيها أربعة مساجد، وتبعد ٣٥ كيلومتراً عن الحدود داخل حدود الجبل الأسود.

ويبلغ سكانها ٣٠ ألف نسمة، وتبعد ١٨٨ كيلومتراً عن مدينة (بودغوريسا) عاصمة جمهورية الجبل الأسود، ولكن الطريق في معظمه جبلي صعب غير أنه مزفت تزفيتاً جيداً.

أحضروا القهوة ومعها قطع من اللحم المدخن كالذي كنا رأيناه في مسلخ اللحوم ومصنعها الذي يملكه مسلمون في مدينة (سيبنتا) في إقليم السنجق، وذكرته في كتاب: (قضاء الإرب في الرحلة إلى بلاد الصرب).

مسجد المركز الإسلامي في روزايا

ونوهوا بأن هذا اللحم من لحم الأضاحي وكانوا ذكروا لي أن كثيراً من الناس يعطيهم ثمن أضحيته ويوكلهم على ذبحها وتوزيعها على المدارس الإسلامية، وعلى المستشفيات لينتفع بلحمها من يحتاجون إلى ذلك من المسلمين.

فيصنعون اللحم مدخناً ومصبراً بطريقة خاصة.

أكلت من هذا اللحم المدخن ولم أستسغه لأنه بدأ كما لو كان غير معقم مع أن بلادهم باردة، ولا يسري فيها الفساد إلى اللحم، وإنما كنت اعتدت على أكل لحم السمك المدخن ولاسيما شرائح سمك السالمون الغالي.

المؤلف في أحد فصول مدرسة البنات الإسلامية
في (غولتينا باتش) في الجبل الأسود

ثم جاؤا بالغداء إلى غرفة الإدارة في المدرسة، وذكروا أنه من غداء الطالبات ولذلك كان محدود المقدار، وهو في علب كل علبة فيها أرز ولحم جيد وخبز، وقليل من الفلفل وهو الشطة مخللاً.

وكان بنا إليه حاجة، إذْ تأخر علينا الغداء فأكلنا منه بهناءٍ وكان كافياً نظيفاً غير أن الذي كدره علينا أن بعضهم لم أرهم تغدوا معنا كما لم أر الإخوة الذين قدموا من أجلنا من الجبل الأسود تغدَّوْا أيضاً.

وصلينا الظهر والعصر جمعاً في المدرسة.

من أهل نوفي بازار إلي أهل بودغوريسا:

لا أدري أيصح القول: إن إخواننا أهل إقليم السنجق الذين كانوا أحضرونا إلى هنا قد سلمونا للإخوة أهل الجبل الأسود، وإذا لم يصح ذلك عرفاً ولا لياقة، فإنه يصح لغة.

في سطح الطابق الأول من مسجد السلطان مراد الثاني (تحت الإنشاء) مع أهل روزايا والجبل الأسود

فقد ودعنا أهل إقليم السنجق فشكرناهم أحر الشكر على كرمهم في استقبالنا على مسافة ٢٤ كيلومتراً قبل الوصول إلى عاصمة الإقليم (نوفي بازار) ولازمونا طيلة بقائنا هناك ولم يفارقونا إلا هذه اللحظة.

كما شكرت الإخوة أهل (بودغوريسا) الذين جاءوا منذ صباح هذا اليوم من تلك المدينة متجشمين عناءَ الطريق ليأخذونا بسياراتهم.

في المركز الإسلامي:

جلسنا مع الإخوة المسلمين من أهل (جمهورية الجبل الأسود) في المركز الإسلامي الذي فيه مكتب رئيس الأئمة في هذه المدينة: (روزايا) وما يتبعها من قرى، وكان عدد الجالسين معنا في المركز منهم تسعة وقل فيهم المتكلم بالعربية، بخلاف أهل السنجق فالذين يعرفون العربية فيهم كثير.

والمركز الإسلامي يتألف من مسجد في غاية الجمال والنظافة والعناية تتبعه غرف فيها مكتب رئيس الأئمة وما يتعلق بالمساجد هنا.

في موقع المسجد الجديد في عرض الجبل العالي في روزايا في الجبل الأسود

مسجد السلطان مراد الثاني:

تناولنا الحديث معهم بالتفصيل عما يتعلق بالأمور الإسلامية في هذه الناحية من جمهورية الجبل الأسود ثم انتقلنا معهم إلى مسجد تحت الإنشاء أسموه (مسجد السلطان مراد الثاني) وهذه التسمية ذات معنى تاريخي مهم، لأن السلطان مراد الثاني هو الذي تولى الملك بعد أن تغلب الأتراك العثمانيون على الصرب في المعركة الفاصلة في كسوفا وقتله الصرب غيلة.

رأيناهم صبوا سقف المسجد ووقفوا عن العمل لقلة النفقة.

ولما رأيت موقعه عجبت من كون الحكومة تسمح ببنائه لأنه يقع على ضفة نهر المدينة الذي يسرع في جريانه عندما يحاذيه، لأن المسجد واقع في أصل جبل أو لنقل إنه في أصل تلة جبلية متصلة بجبل عالٍ وشارعه ضيق فذكروا أن الحكومة لا تستطيع أن ترفض الرخصة ببنائه لأنه مكان مسجد قديم، قالوا: فنحن لم نفعل أكثر من طلب إعادة بناء المسجد.

وموقعه كما قلت ضيق، ولكنه مرتفع عما حوله من منازل المدينة، وسوف يكون معلماً بارزاً بعد الانتهاء من رفع منارته وقبته.

ولاحظت أن السقف الذي صبوه ليس سقف المسجد وإنما هو سقف طابق أرضي تحت المسجد يريدون أن يستعملوه للحفلات والاجتماعات، وأن يجعلوا فيه فصولاً دراسية لتعليم أبناء المسلمين.

ويسمى النهر الذي يقع المسجد بجواره (نهر ايبر).

ويشرف من يكون في هذا المسجد على مساحة كبيرة من المدينة التي تشغل موقعاً غير مستوٍ من الأرض، ولكنه خصب جداً، وعدا عن هذا النهر هناك نهر صغير آخر يمر بها، والأمطار الصيفية قد جاءتها وكررت ذلك حتى أصبحت منطقتها بسطاً سندسية تطالعك إذا طالعتها من أي اتجاه اتجه إليه بصرك.

وتطل عليها ربى وجبال خضر تكسوها الغابات النضرة.

وليس في موقع المسجد عيب إلا ضيق شوارعه التي بعضها على هيئة أزقة وليس على هيئة شوارع ممتدة.

واجتمع في هذه الأزقة الضيق والالتواء إلى جانب الوعورة في الأرض وعدم الاستواء فبعضها ينزل لفترة ثم يرتفع لفترة أخرى لأن

أرضه في الأصل جبلية غير مستقرة ولكنها خصبة لأنها ليست بحجارة، وإنما يركبها طين خصب رأيناه موجوداً فيها من الحفر الذي حفروه بجانب المسجد إلى مسافة عميقة.

أسفت لكوننا لا نحمل مبالغ مالية كبيرة، وإلا لأعطيناهم منها، لأنهم مستحقون حقاً، و لكونهم محتاجين، إذْ ذكروا أنهم أنفقوا كل ما استطاعوا جمعه لبناء هذا المسجد.

مسجد جبل بانجو:

و(بانجو): اسم رجل أضيف إليه الجبل، والمراد به قطعة من أرض الجبل.

صعدنا إليه صعوداً صعباً في كتف جبل وعر ولكنه خصب، ولما سألتهم عن اختيارهم هذا المكان الذي يصعب على كبار السن أن يصعدوا إليه أجابوا بأن هذه الأرض وقفها صاحبها وما حولها للمسجد واشترط أن يقام عليها مسجد.

قالوا: وهي أرض خصبة كما ترى فوقها الجبل قشرته العليا طينية خصبة.

وقد حفروا أرض المسجد في عرض الجبل لكي تكون مستقرة فصار أعلاها يساوي سقف المسجد الذي لم يصل العمل فيه إلى التشطيب وأسفلها يصعد إليه من الأسفل.

والأشق في الأمر أنهم ذكروا أنهم بدءوا بالعمل في المسجد على أمل أن يحصلوا على تبرعات لبنائه من المسلمين وإلاَّ فإنهم ليس عندهم ما يكفي لذلك، بل ذكروا أن جميع ما عندهم أنفقوه الآن على حفر أرض المسجد ومساواتها وصب الجدران بالأسمنت المسلح حولها حتى يمنع ذلك الأتربة والطين عنه، إذا جاء المطر والثلج.

ووجدنا بعض العمال يعملون فيه الآن وذكروا أن تأسيسه سيكون مكلفاً لصعوبة موقعه، ولكنه سيكون ظاهراً للعيان يرى مع منارته من مسافات بعيدة لا يحجبها عنه حاجب من أبنية وأشجار.

وقلت لهم: إنه يصح أن يسمى المسجد المعلق، وإذا لم تروا أن يسمى بذلك فإنه يوصف به.

ثم أضافوا بأنه بقيت في أرض الواقف بقية فوق أرض المسجد، فسألتهم عما يصنع بها وهي في هذه المكان غير المستوي؟

فأجابوا أنه غرس فيها تفاحاً يستغله.

فقلت لهم: لابد أن أرضكم هذه منخفضة عما قرب منها رغم كونها جبلية، لأن أهل السنجق أخبروني أن التفاح لا يجود في الأراضي الباردة العالية من بلادهم.

هذا وقد تساقط المطر، ونحن في هذا المكان عند المسجد الواقع في عرض الجبل، ولكنه لم يكن كثيفاً وصبرنا له.

السفر إلي عاصمة الجبل الأسود:

بدأنا السفر إلى مدينة بودقوريسا عاصمة الجبل الأسود في الثالثة والنصف فودعنا أهل (روزايا) الكرام، وذلك على سيارة واحدة يقودها نائب المفتي كما يصفه القوم لأنه إذا غاب مفتي جمهورية الجبل الأسود أو رئيس المشيخة الإسلامية كما يسميه بعضهم يقوم بعمله، ويعمل ما يعمله، ولكن بعضهم قال: إن وظيفته هي سكرتير المشيخة الإسلامية هناك.

وعلى أية حال كان الرجل فإنه شخصية إسلامية متميزة وهو ذو غيرة على الدين، وتحمس للعمل على نشره، لا يبالي في ذلك بمال ينفقه أو جهد يبذله كما عرفناه بعد ذلك.

وهو لا يعرف العربية ولا الإنكليزية، واسمه (بيرم أخوفيتش)، ومعنى (بيرم) في اللغة التركية: العيد، أو يوم العيد، وذكر أنه ولد في يوم عيد الأضحى وهو (بيرم) عندهم فأسموه بذلك مثلما كان بعض العرب يسمون من ولد في يوم العيد باسم عيد.

ومعه الأخ الشيخ (جيوتوفيتش) وهو من أهل الجبل الأسود مثل نائب المفتي، ولكن أصله البعيد ألباني بخلاف نائب المفتي فإنه من البوشناق، وقد نفعنا الله بالأخ (جيمو) هذا فهو يعرف العربية، بل يجيدها إجادة تامة، ويعرف حتى المجازات والاستعارات فيها، فقد تعلم في مصر حتى أكمل دراسته الجامعية، وهو ذو روح اجتماعية، لذلك كان يتحادث مع سائر الناس في مصر، ولذلك أجاد العربية.

وهو إمام في أحد مساجد العاصمة (بودغوريسا) وقد يأتي ذكر ذلك عندما نزور المسجد الذي يصلي فيه.

وقد لازمنا الإخوان جزاهما الله خيراً، فالأخ بيرم يقود السيارة في جميع أنحاء جمهورية الجبل الأسود، والأخ جيمو يترجم لنا كل شيء ولا يتأفف من كثرة كلامي، بل ثرثرتي فيتوقف أو يتلكأ في الترجمة، وقد ذكر لنا أن (جيمو) في اسمه هي (جمال) ولكنه عرف بجيمو.

انحدرنا بعد مغادرة (روزايا) مع طريق ينحدر برفق ولكن تطل عليه جبال خضر بعضها دون بعض وتشترك كلها في جمال المنظر، وبينها أودية ضيقة خضر أيضاً، وتجلل الجميع بسط سندسية من أعشاب ربيعية مزهرة، مما جعلني أقول في نفسي: أهي سويسرا البلقان؟

وتنتشر المنازل متفرقة في سفوح هذه الجبال وعلى أكتاف التلال التي دونها، ولكن دون كثافة تحد من جمالها أو تخرجها من المنظر الريفي أو القريب من الريفي إلى المنزل الحضري المألوف.

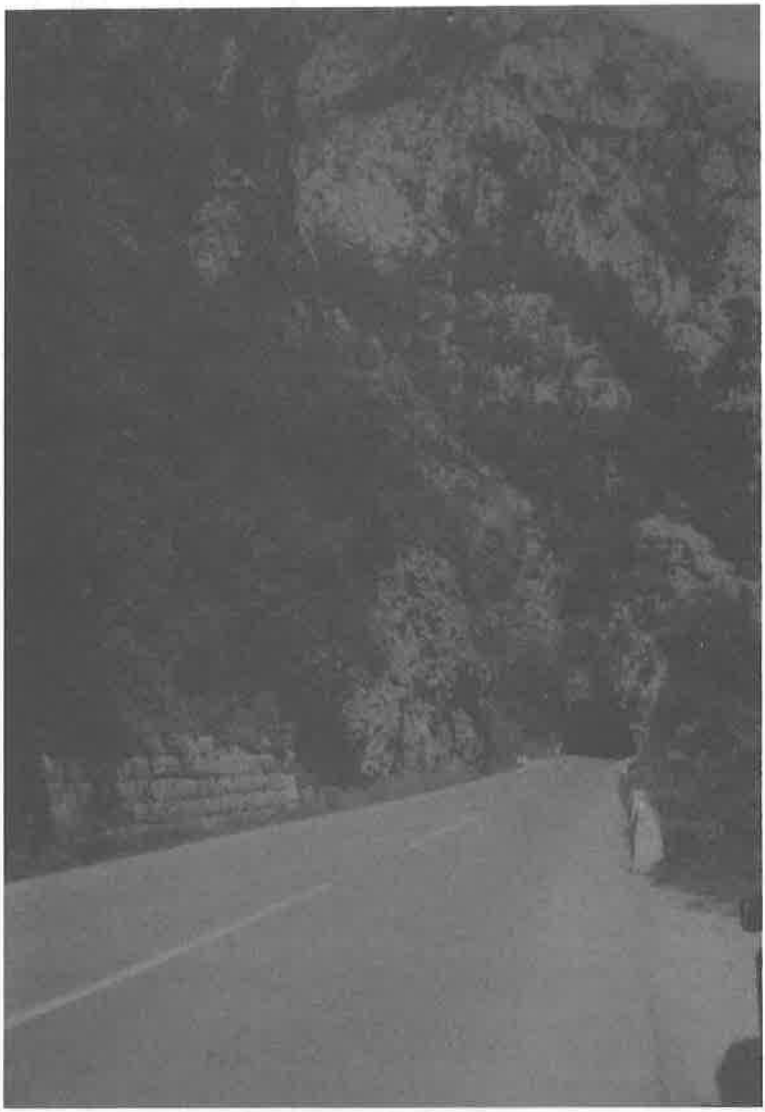

نفق في الجبل الأسود الوعر

وقد دخل الطريق نفقاً طويلاً، ولكن دون تهوية، فعجبت من إقدامهم على ذلك وصبرهم عليه، إذْ ما يصنع ركاب السيارات إذا تعطلت سيارة أو سيارتان في هذا النفق أو توقفت السيارات، وكادت محركاتها تدور فتنشر الهواء الفاسد ولا تهوية؟

وحتى النور في هذا النفق هو ضعيف جداً حتى تجزم أن البلاد تشكو من قلة الكهرباء مع أن المظنون أن الأمر ليس كذلك ففيها مساقط مياة تأتي من الجبال يمكن أن تولد منها الكهرباء، ولكنني ذكرت الإضاءة الجيدة في أنفاق مكة المكرمة حيث تكون من ثلاثة صفوف أحدها أصفر والاثنان ذواتا مصابيح بيض.

نفق في الجبل الأسود في طريقنا إلى العاصمة (بودغورسا)

وبعد انتهاء هذا النفق الطويل دخلنا نفقاً قصيراً، ورغم كثرة الغابات والأشجار البرية فقد ذكر المرافقون أنها لا تثمر أي ليس بينها أشجار مثمرة، وإنما هي أشجار الأخشاب غير الممتازة.

ولكن المثمر المنتج هو الأعشاب الربيعية الملتفة التي تسمن عليها الماشية، ويقطعون منها ما يقطعون لإعلاف الماشية في الشتاء عندما يفسد الثلج كل المراعي فلا تجد الراعية في الأرض ما ترعاه.

مدينة بيرانه:

أقبلنا على مدينة اسمها (بيرانه) واقعة على نهر (ليم) وقد طالعتنا منها على البعيد مدخنتان لمصنعين.

ويبلغ سكان هذه المدينة أربعين ألف نسمة، واختلفت أقوال الذين معنا مع أقوال أهلها في نسبة المسلمين بينهم، ثم اتفقوا على أنهم ٢٥%.

والمدينة متوسطة السعة، ويلاحظ أننا نصفها بالمدينة وليس بالقرية، مع أن عدد سكانها هو (٤٠) ألفاً، وذلك لقلة السكان في جمهورية الجبل الأسود، إذْ يبلغ مجموعهم ما يزيد على ٦٠٠ ألف نسمة على حين يكون في الهند البلدة التي لا يزيد سكانها على مائة ألف نسمة قرية.

بسبب كثرة السكان في الهند الذين يبلغ عددهم الآن ألف مليون وعشرين مليوناً.

ولشيء آخر وهو أن القرى والمدن في الهند تكون في العادة مركومة المنازل أي منازلها متلاصقة لا تشغل إلا رقعة ضيقة في حين أن القرى والمدن في هذه المنطقة التي نحن فيها تكون بيوت القرى

والمنازل فيها متفرقة متباعدة، وإذا كانت البلدة أو المدينة قديمة كان فيها قسم قديم متلاصق المنازل ولها ضواح متفرقة البيوت.

مسجد مدينة ميرانة في الجبل الأسود على يمين المؤلف الشيخ عبدالرحيم بن زيد إمام المسجد وعن يساره بيرم نائب مفتي الجبل الأسود

عندما قربنا قليلاً من مدينة (بيرانه) أبصرنا منارة مسجدها شامخة في السماء، لا يمكن أن يخطئها نظر الذي يصل إلى المدينة مع الطريق الرئيسية المتجهة إلى عاصمة الجبل الأسود أو مع غيرها.

ويقع المسجد على ضفة نهر (ليم) يفصل بينهما الطريق العام، وهو واقع في لحف جبل أخضر فيه منازل وأبنية، لأن المنطقة جبلية.

ولحسن حظنا أن وجدنا إمام المسجد واسمه (عبدالرحيم بن فريد) فدخلنا المسجد واطلعنا عليه وما يتبعه فوجدناه صغيراً، فقلت له: لماذا لا توسعونه؟

فأجاب لا مجال لذلك لأن الشارع والجبل يمنعان من ذلك.

وقد يكون ذلك صحيحاً ولكن المؤسف أنه ذكر لي أنه المسجد الوحيد في هذه المدينة التي يتألف سكانها من (٤٠) ألف نسمة فيهم ٢٥% من المسلمين، فكأن هذا المسجد لعشرة آلاف مسلم وهو لا يتسع لأكثر من ١٢٠.

وقد استغربت ذلك فذكر الإمام عبدالرحيم أنه كان يوجد مسجد آخر في المدينة ولكن هدمه الصرب، فقلت: هذا يدل على ضعف الداعي الإسلامي في نفوس أهلها، وإلا لما تركوا المسجد الجامع بهذه الصفة من الصغر والضيق، وكذلك لم يتركوا المسجد الذي دمره الصرب، بل يعمرونه أو يبنون غيره بالقرب من مكانه.

وكأنما أراد القائمون على المسجد أن يعوضوا ما نقص من مساحته بالعناية به، وبفراشه وكل ما يتعلق به فكان داخله فاخراً، بحيث أن البلاط في أرضه هو من الرخام الأخضر الغالي، وحول هذا المسجد مقابر من يمين ويسار في غير القبلة، ولاحظت أن بعضهم يضع على

الشاهد الحجري لبعض القبور صورة منارة كأنما أرادوا بذلك مخالفة النصارى الذين يضعون الصلبان على قبورهم، وهذا خلاف ما يفعله أكثر المسلمين في بلاد الأقليات الذين يعتبرون الهلال رمزاً للمسلمين في مقابل كون الصليب رمزاً وشعاراً للنصارى.

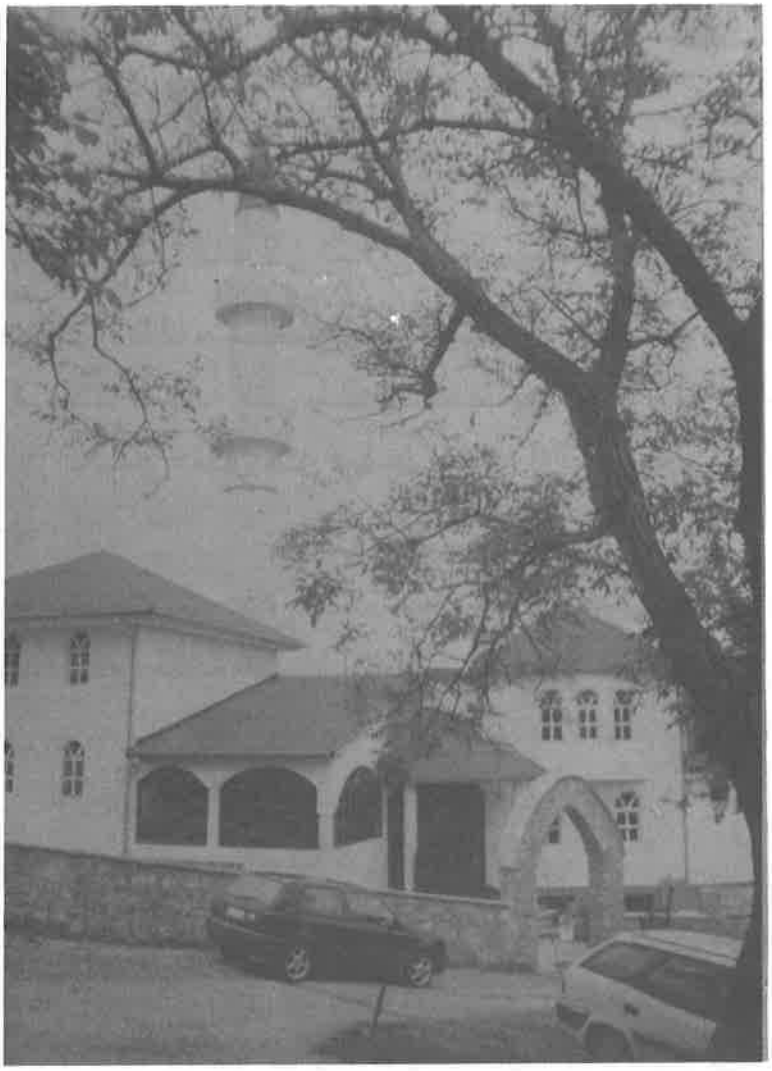

مسجد ميرانة في جمهورية الجبل الأسود

والمسجد كما قلت في أرض غير مستقرة كأكثر أرض البلدة لذا صعدنا إلى المسجد من الطريق العام ثم هبطنا منه بعد أن شاهدناه.

وحتى المقبرة فهي في لحف الجبل وليست في أرض مستوية.

ونهر (ليم) بكسر اللام هو نهر مدينة (بيرانة) هذه وقفنا عنده وهو في وادٍ في نهاية الانخفاض للوادي الذي تقع حوله المدينة.

كان الأخوان يشكيان الجوع فاشترينا مأكولات خفيفة وانطلق لسان الأخ الشيخ (بيرم) نائب المفتي يتحدث بالتفصيل عن أحوال المسلمين قديماً في هذه المنطقة، و تبين أنه مهتم بذلك غاية الاهتمام، وهذا هو طلبتي، وقال: كتبت كتاباً عن المساجد في الجبل الأسود وطبعته وسوف اطلعكم على نسخة منه غير أنه باللغة البونسوية وهي البوشناقية، ولم يترجم لا إلى العربية ولا إلى الإنكليزية، فشكرنا له ذلك وطلبنا منه المزيد من الكتابة في أحوال المسلمين في هذه الجمهورية، لأن المعلومات عنهم في البلدان الإسلامية شحيحة.

ففي رابطة العالم الإسلامي وهي من مراكز المعلومات عن المسلمين كانت المعلومات لتي لدينا مجملة غير مفصلة، وهي إلى ذلك ناقصة.

المؤلف على نهر ليم في مدينة بيرانة

بلدة مريكوفاس:

مررنا ببلدة مريكوفاس: بلدة متوسطة يبلغ عدد سكانها ١٩ ألف نسمة، ليس فيها في الوقت الحاضر أحد من المسلمين إلا ثلاث أسر، بل كل سكانها من المسيحيين، ولذلك لا يوجد فيها مسجد.

وذكر الأخ (بيرم) أنه كان يوجد فيها في القديم مسلمون، وإن كان لا يعرف نسبتهم إلى باقي السكان، قال: وكان فيها مسجد دمره الصرب، ولم يكن يوجد فيها مسلمون يسعون إلى إصلاحه أو تعويضه.

ذكر الأخ الشيخ (بيرم...) أن السكان القدماء في هذه المنطقة هم الأليريون أسلاف الألبان والبوشناق الذين منهم البوسنيون.

أما في الوقت الحاضر فأغلب السكان هم من الصرب الذين هم الصرب سكان صربيا، وكذلك منهم صرب البوسنة الذين فعلوا الأفاعيل المنكرة من قتل المسلمين في البوسنة قتلاً جماعياً، وما يزال الناس في أنحاء العالم يصدمون بما يتكشف من جرائمهم هناك.

ولاحظت قلة القرى والبلدان في هذه المنطقة بخلاف إقليم السنجق حيث تكثر القرى، وإن كانت صغيرة.

هذا وكلما أمعنا في السير ارتفعت الجبال بمعنى بدت الجبال عالية، وإلاَّ فنحن كنا نسير في أرض جبلية كما سبق.

وبعض الجبال المرتفعة لا تزال عليها بقايا ثلوج الشتاء لم تذب بعد.

أما الطرق وحالة الزفت فيها، بل والعناية بها على وجه الإجمال فإنها هنا أفضل من مثيلاتها في صربيا، وقد صادفنا عدة فرق تعمل في تحسين الطرق وتوسعتها، ولم نشاهد فرقة واحدة مثل ذلك في صربيا، رغم كون الطريق من (نيش) إلى (نوفي بازار) في غاية السوء.

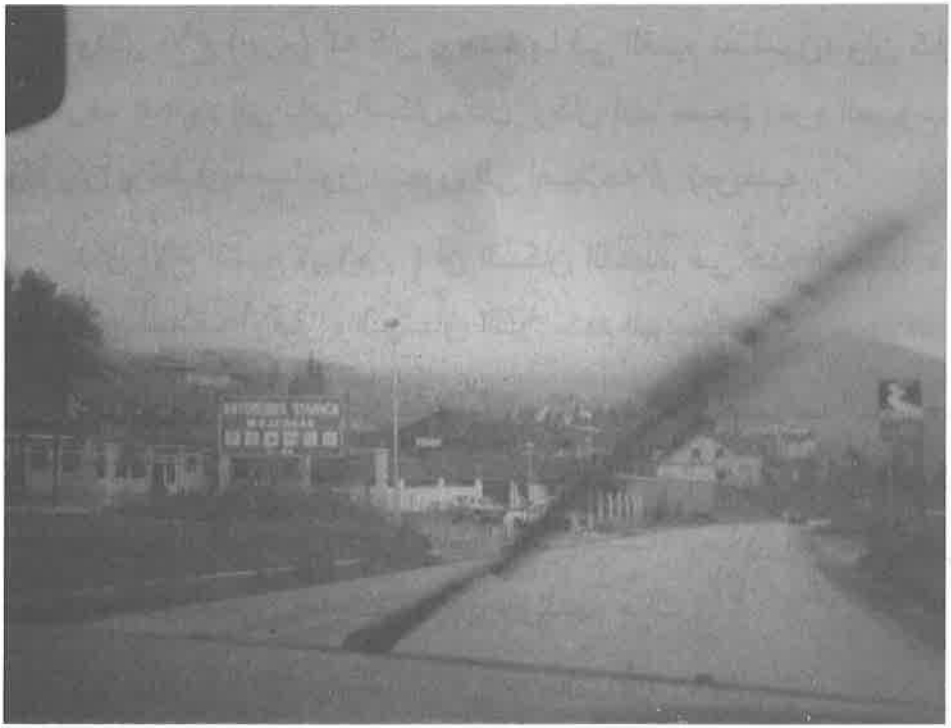

مدخل مدينة مريكوفاس في جمهورية الجبل الأسود

واستمر سيرنا في الطريق واستمر الأخ بيرم في حديثه المهم عن أحوال المسلمين بخاصة في الجبل الأسود وأحوال الناس عامة فيه.

وكانت قيادته كحديثه هادئة رزينة، لاسيما أنه يعلم أنني أهتم بمعرفة كل ما نمر به وما يتعلق بذلك، لذا فإن القيادة السريعة تحرمني من ذلك، وهو يريد إكرامنا جزاه الله خيراً.

وسألتهم عن الحيوان الوحشي في هذه الجبال الوعرة، ذات الغابات الكثيفة التي يكثر فيها الحيوان الذي تتغذى عليه الوحوش الضارية، فأجابوا أنه لا يوجد منها إلا الذئب والثعلب، أما الحيوان المأكول فأهمه وأكثره الأرانب.

الانحدار إلي العاصمة:

مدينة بودقوريسا تقع على شاطئ البحر، ونحن الآن في قمة الجبال العالية، لذا لابد من أن ننحدر في ذهابنا إليها، ولكن المسافة إليها ما تزال بعيدة والجبال متدرجة الارتفاع لذا سيكون انحدارنا مع الطريق بطيئاً.

وقد كثرت الأنفاق في الطريق ولكن أكثرها ليس معتنى به، ومنظره ليس بذاك، ربما كان سبب ذلك كثرة الأنفاق- بفتح الهمزة، وقلة الإنفاق عليها بكسرها.

ومن الطريف في موضوع هذه الأنفاق أن بعضها تركبه أشجار ملتفّة من أشجار الغابات فكأننا إذا أردنا الدخول إليها ندخل إلى ما تحت الأشجار، وهذا صحيح فالأشجار الكثيفة فوق سقف النفق الذي هو جزء من الجبل.

وقلت القرى التي ترى من الطريق، ولم أر حيواناً من بقر أو غنم أو غيرها ولا شك في أن سبب ذلك وعورة المنطقة التي فيها وديان عميقة، إذا تدهور فيها الحيوان لم يمكن إنقاذه، وربما لم يمكن إخراج جثته، إضافة إلى أن الطريق لا يتسع في بعض الأحيان، بل في أكثر المواضع إلا لمرور السيارات تشرف عليه الجبال الواقفة، ويشرف هو على هاوية من وادٍ سحيق.

سواد الجبل الأسود:

الصخور السود في الجبل الأسود

منذ أن وصلت إلى صربيا وأنا أسأل عن تسمية هذه الجمهورية بالجبل الأسود، فلا أجد جواباً شافياً حتى سألت عنه الأخ الشيخ (بيرم....) فأجابني بجواب شفهي شافٍ وقال: سوف أريك ذلك عملياً فيما بعد.

وقد أوقف السيارة في طريق ضيق خطر يشرف عليه الجبل الواقف من جهته، ويحف به الوادي السحيق من جهة أخرى، وقال وهو يشير إلى حجارة الجبل الواقف قائلاً: إنظر هذه هي الحجارة السوداء التي سمي الجبل بها.

وكان ذلك بالفعل، إذْ الحجارة هنا كلها سوداء، مع أنها واقفة وقوف الجدار وصماء، وعهدنا بالحجارة السوداء، في بلادنا أن تكون كالحرة على وجه الأرض.

وما شبهت منظر هذه الحجارة إلاَّ بأنها تشبه الحجارة المطلية بأسود، لولا أن سوادها عميق وفي الصخر.

كان موقفنا في مبتدأ ظهور الحجارة السوداء، ثم رأينا تلك الحجارة ممتدة مع امتداد الطريق وشاملة لحجارة الجبل.

النفق الأسود:

كان و قوفنا في عرض الجبل الأسود عند نفق أسود الحجارة، غير جميل المنظر حتى إن الأشجار المخضرة قليلة فيه، وليس كغيره من الجبال غير السوداء الحجارة.

وتبدو هذه الحجارة السود مع أنها في صفحة جبل واقف متماسك تبدو على سقف النفق كأنما كومت تكويماً.

كان المنظر رائعاً، بل جميلاً يثير الرهبة، والعجب أكثر مما يثير النشوة والغرابة.

الصخور السود على الطريق في الجبل الأسود

إذْ كنا نشاهد هذه الحجارة السوداء في الجبل على أيمن الطريق لنا نحن الذاهبين إلى مدينة (بودقوريسا) ونشاهد على ايسارنا وادياً سحيقاً بعيد القعر تحف به الحجارة الحادة وفيه مجرى نهر غير كبير، ولكن المرء لا يراه إلا من خلال منحنياته لأنه لا يستطيع الوقوف على ضفته

في الطريق لعدم استطاعته الاقتراب منها خشية من التهور في ذلك المكان السحيق، وقد اجتمع للناظر القرار السحيق والذرى الجبلية السود الواقفة كالأسوار القديمة لولا أنها أقوى منها وأبعد ارتفاعاً في السماء ولذلك صارت أعتى وأعظم.

وقلت للقوم المرافقين: إن هذه آية من آيات الله تعالى، وقالوا هم كذلك، وكلهم ذكروا الله سبحانه وتعالى وكبروه وعظموه.

وقلت ما لم يقولوه: وربما ما لا يتصوره أهل هذه البلاد، وهو أن هذه الجبال والمنظر الذي نراه الآن يحتاج وحده إلى رحلة، بمعنى أنه لو لم يكن لنا من عمل في هذه الجمهورية إلا مشاهدة هذه المناظر النادرة لما كان السفر إليها ذاهباً في غير فائدة.

والغريب أن النهر الذي لا يكاد المرء يراه لعمق الوادي يسرع في جريانه حتى خُيِّلَ إليَّ أن فيه زبداً من شدة جريانه، وذلك أنه يجري في أرض شديدة الانحدار.

مواصلة الانحدار:

كما واصل النهر المحصور بين الجبال في قرار الوادي السحيق سيره قاصداً الأرض المطمئنة على شاطئ البحر الإدرياتيكي واصلنا بسيارتنا الانحدار أيضاً لأننا نقصد العاصمة التي هي على شاطي البحر، وقد غاب عنها النهر، ولكن تبين أنه مثلنا يقصد العاصمة، فقد رأيناه وصل إليها قبلنا، وعفواً عن هذه السذاجة المقصودة- إذْ هو نهر مدينة (بودقوريسا) العاصمة.

نهر موراتشا في جبال الجبل الأسود

واسم هذا النهر (موراتشا) ولو كان الذين أسموه بهذا الاسم خلعوا عليه اسماً آخر لما بالينا بذلك لأنه عجمة في عجمة وهذا من السذاجة أيضاً.

ومما لا يستحق الذكر أنهم جعلوا حواجز حديدية على الجهة اليسرى من الطريق التي تقع على شفير الهوة السحيقة حماية للسيارات وركابها من التدهور في حالة الحوادث غير الكبيرة.

وقفة أخرى:

لم نشبع من مشاهدة هذه الصخرة السوداء الواقفة والنهر الذي يجري في الوادي العميق بين الجبال الوعرة فوقفنا وقفة أخرى ولكن بعد أن أسهل الطريق وصار الجبل الواقف يمينه أقل ارتفاعاً والوادي العميق أقل عمقاً.

ومن الأشياء التي استرعت انتباهي، وذكرت للإخوة المرافقين أن مياه النهر زرقاء زرقة واضحة، وقد عللت ذلك بصفاء مياهه وكون مجراه فيه صخور سود، ولم يعرف المرافقون سبب ذلك، وإنما كانوا وافقوا على أن مياه النهر تبدو زرقاء.

الطريق العميق فيه النهر داخل جبال الجبل الأسود

ومع انحدارنا السريع تنحت الجبال واتسع الطريق، وبدأت أشجار العنب المقامة على عرائش أو دون عرائش بالظهور، وذلك لقربنا من ساحل البحر الذي تقع فيه العاصمة.

وكان ذلك علامة على اعتدال الجو في هذه المنطقة، لأن العنب لا يوجد ويزدهر إلا في أماكن دافئة.

ثم أبصرنا العاصمة بودقوريسا:

عاصمة جمهورية الجبل الأسود، ومعنى اسمها: تحت الجبل، فبود: تحت، وقوريسا: الجبل، وهذه تسمية صادقة الدلالة، فهي بالفعل تحت الجبل أي الحجارة السوداء، وإن كان الجبل لا يخنقها، بل لا يضايقها، وإنما توجد بينه وبينها فسحة.

دخلناها تحت جسر للمشاة مقوس كما يقوس قوس النصر، أو أقل تقويساً من ذلك وشارعها العام ليس واسعاً، ولكنه جيد الزفلتة.

وكان وصولنا إليها في الثامنة والربع والشمس حية، ولاحظت أن الناس الذين كنا نراهم عند دخولنا عليهم الملابس الخفيفة، مما يدل على موقع المدينة الدافئ على ساحل البحر، بخلاف إقليم السنجق وبعض المدن والقرى الجبلية في جمهورية الجبل الأسود التي هي باردة حتى في هذا الوقت الذي هو فصل الربيع.

وذكر أهل (بودقوريسا) أن الصيف عندهم حار، حتى إن درجة الحرارة قد تصل فيه إلى ٤٠ درجة مئوية، مع شعور باحتباس الهواء إذا ركدت الريح، ويكرر أهلها أن طبيعتها هي أشبه بطبيعة بلدان البحر الأبيض المتوسط منها بطبيعة بلاد الصرب.

وقفنا في الشارع لغرض من الأغراض فكان ذلك بجانب سيارة معطلة متروكة في جانب الشارع، مما لا يوجد في البلدان المتقدمة وغير بعيد منها وعاء جمع القمامة وليست نظافته بذاك.

وهذه من الهنات الهينات، وإلا فإن البلاد حسبما نراه الآن وما رأيناه قبل ذلك تغلب عليها النظافة، والشعب نظيف الثياب.

مدخل مدينة بودغوريسا

ولاحظت أن اللافتات كلها بالحروف اللاتينية وليست بالسيريلية التي يكتب بها أهل صربيا، وقل مثل ذلك عن العملة فالعملة في صربيا هي (الدينار) أي كما كانت عليه الحال في العهد اليوغسلافي، وأما الجبل الأسود فإنهم يتعاملون باليورو، مع أنهم ليسو من أعضاء الاتحاد الأوروبي.

ووجدنا الإخوة حجزوا لنا في فندق جيد اسمه (فندق كوستا) وهو من ذوات النجوم الخمس، كتبوا ذلك عليه في لافتة كبيرة، ولو كانوا استشارونا لأخبرناهم أنه ليس من همنا أن ننزل فندقاً هكذا لأننا لا نبقى فيه بل لا ندخله إلا في الليل وبعد تعب لذلك لا نلقى بالاً بما فيه إلا أن يكون نظيفاً.

ومع الغلاء في أجرته، وحسن أثاثه ورياشه الأمر الذي جعلنا لا نستكثر هذا المبلغ عليه فإنه ليس فيه مصعد.

وغرفنا في الطابق الثاني نصعد إليها مع درج واسع فيه.

ضاحية ريفية قرب بودغوريسا

وقد اجتهد أهل الفندق في أن يجعلوه غاية في الفخامة، وكانوا أخبرونا أنه لا يوجد عندهم إلاّ جناح واحد وغرفة واحدة، أي جناح كامل، وغرفة صغيرة فنزل رفيقي في الرحلة الأستاذ رحمة الله بن عناية الله في الغرفة، ونزلت أنا في الجناح الذي يشتمل على غرفة للنوم فيها سرير عريض وثير، وسرير آخر للطفل أو الولد، أو نحوه، وفيه

قاعة جلوس واسعة فخمة قد أثثت بأثاث منسوب غالٍ، ربما كان على طراز الأثاث في عصر الملك الفرنسي لويس الخامس عشر.

ومن طرائف هذا الفندق الفخم ذي النجوم الخمس أنهم وضعوا في غرفة النوم برادة للماء فوقها الزجاجة المميزة لها كما يكون في المحلات العامة، وفيها الماء جاهزاً للشرب مما يدل على أن البلاد تشهد فصلاً صيفياً حاراً يحتاج الإنسان معه إلى شرب مقادير كبيرة من الماء.

ولم يكتفوا بهذه البرادة الكهربائية في غرفة النوم، بل جعلوا مثلها برادة ثانية في قاعة الجلوس.

وهذا لم أر له مثيلاً في أي فندق آخر في العالم.

وجعلوا في ركن منعزل من قاعة الجلوس مطبخاً صغيراً لصنع القهوة والشاي والأطعمة الخفيفة، أما خزانة الملابس فإنها كبيرة واسعة فيها منشف الشعر ولباس الحذاء وهي التي تساعد على من يلبس حذاء على إدخال قدمه فيه.

ومن إنفراداته أنهم وضعوا في الحمام غير بعيد من المرحاض خزانة خشبية رشيقة- فيه أدراج ثلاثة الأعلى منها فيه لفافتان كبيرتان من ورق الحمام المنشف، وذلك بمثابة الاحتياط فيما لو احتاج النزيل إلى أكثر مما هو موجود بجانب المرحاض.

وفي الدرج الذي تحته وهو أوسع منه عدد من الفوط والمناشف من مقاسات مختلفة نظيف جاهز للاستعمال.

وفي غرفة الجلوس ساعاتان إحداهما على توقيتهم المحلي، والأخرى على توقيت (قرينتش).

يوم الخميس: ١٤٢٦/٤/٢٨هـ ٢٠٠٥/٥/٢٦م:

صباح ما تحت الجبل:

والمراد بذلك مدينة (بودقوريسا) التي معنى اسمها (تحت الجبل) كما تقدم.

أزحت ستارة النافذة الواسعة فأفضى النظر إلى فراغ واسع بمعنى أنه أرض خالية من البناء خلفها أبنية حديثة غير متلاصقة، وذلك أن الفندق مبني في ضاحية جديدة من المدينة ولا يرى المرء من النافذة أية حركة إلا حركة سيارات غير مسرعة غير قريبة من الفندق مع خط أسفلتي جيد.

وخلف ذلك في النظر تلة غير عالية، والمدينة في فسيح من الأرض خلفه من جهة الشرق الجبال العالية التي تقدم ذكرها، وإن كانت تتدرج في العلو.

ثم نزلنا إلى الطابق الأسفل من الفندق لتناول طعام الفطور فقابلتنا العاملات بإبتسامات عريضة لا توجد في صربيا التي بدت لنا عندما زرناها وبخاصة في عاصمتها بلغراد كأنما تحافظ على العادات والتقاليد الشيوعية التي تعدم فيها الابتسامات على شفاه العاملين والعاملات، ذلك أمر مفهوم السبب لأن الرواتب والدخول كلها محدودة لا سبيل لزيادتها ولا لنقصانها، فماذا يستفيد العامل من مجاملة الناس الذين يعمل من أجلهم إذا جاملهم، أو ابتسم لهم، إضافة إلى أن جماعات كثيرة منهم لا يستطيعون الابتسام لأن لا شيء يحملهم على ذلك فالإيمان الذي يجلب الرضا والطمأنية للقلوب المؤمنة قد حاربته الدولة الشيوعية حتى اعتقدت أنها قد هزمته وسلط عليه حكمها أنواعاً من السخرية

والاستهزاء بالدين والمتدينين، كما أن مباهج الحياة التي من أهمها التجوال والسفر محدودة جداً، إذْ لا يجوز للفرد في الاتحاد السوفيتي السابق أن ينتقل من ركن منه إلى ركن آخر إلاَّ بجواز داخلي، لا يعطي إلا إذا كان لسفر تقتنع الدولة به.

وجدنا طعام الفطور موضوعاً على المائدة ماعدا الشاي أو شيئاً قد يطلبه النزيل، فبعض أنواع من البيض وهو طعام سخي كان من أهم ما فيه بالنسبة إلينا السلطة والخضرات والفاكهة.

كما وضعوا على المائدة والمراد بها المائدة التي يجلس عليها النزيل وليس المائدة المفتوحة المعتادة إفطار الفنادق الراقية أنواعاً من الجبن الأبيض الذي تشتهر به المنطقة لكثرة أبقارها، بسبب وفرة المرعى فيها.

كما وضعوا على المائدة أيضاً أنواعاً من الحلويات.

ثم ما ما شاء المرء من شراب ساخن.

الإدارة الدينية:

صورة على مكتب رئيس الإدارة الدينية في بود غوريسا على يميني بيرم ثم إدريس جميلو فيتش رئيس الإدارة الدينية سابقاً ثم جيمي (جمال)

ويسمونها المشيخة الإسلامية وهي مقر المفتي أو رئيس المشيخة الإسلامية، وهذا اصطلاح موجود في أكثر بلدان البلقان.

ورئيس المشيخة هنا هو الشيخ رفعت قيزيتش وهو غائب في الكويت، وقد ذهب إلى هناك قبل أن يعرف بمجيئنا، ولذلك أمر الأخ الشيخ بيرم بإكرامنا وأن يلازمنا بسيارة المشيخة حتى نغادر البلاد،

وذلك طبقاً لما أخبرنا به الأخ بيرم الذي قال أيضاً: إن المفتي كان يتصل به من الكويت ويسأله عنا ومما قدمه لنا.

في الساعة الثامنة مَرَّ بنا الأخ الشيخ (إدريس جميلو فيتش) رئيس الإدارة الدينية أو هي المشيخة الإسلامية في الجبل الأسود سابقاً وهو يعرفني إذْ سبق أن زار الرابطة وحج في ضيافة المملكة.

وصحبنا إلى المشيخة الإسلامية ونحن مع الأخ الشيخ بيرم أغيتش والأخ جيمو رحيمانوفيتش المترجم المرافق الدائم، مع أن الشيخ إدريس يعرف العربية ولكنه الآن ليس في العمل في المشيخة.

وتقع المشيخة بجانب مسجد أسس في القرن الخامس عشر في ركن من حارة تسمى (اوغايسكا) ذكروا أنه كانت فيها حوانيت (دكاكين) سابقة فسميت حارة الدكاكين، ثم أزيلت تلك الدكاكين وبقيت التسيمة.

عندما استقر بنا المجلس جاءت سيدة خفرة تعمل في المشيخة ولم يذكروا لنا اسمها وهي تحمل فناجيل القهوة معها (البسكويت).

ثم بحثنا معهم ما يتعلق بعمل المشيخة وصلاحياتها، وما تحتاج إليه من المساعدة من رابطة العالم الإسلامي أو غيرها.

وقد ذكروا لنا أنهم لا يواجهون أية مشكلة بينهم وبين الحكومة، وأن الحكومة لا تتدخل في شئونهم الداخلية، وإنها تعطي المسلمين الحرية الكاملة في ممارسة شعائر دينهم.

ورغم ما ذكروه من كثرة المساجد في هذه الجمهورية فإنهم ذكروا أنهم لا يواجهون مشكلة تتعلق بنفقات أئمة المساجد مثل الرواتب ونحوها لأن المسلمين يتبرعون بذلك ولا يقصرون فيه، ولكن المشكلة هي في

إتمام المشروعات الإسلامية من مدارس ومساجد وكيفية الحصول على النفقات الكبيرة اللازمة لذلك، وكرروا ما ذكروه سابقاً من كون المسلمين يبلغ عددهم في جمهورية الجبل الأسود (١٥٠) ألفاً، وهذا المسجد الذي في جانبه مقر المشيخة الإسلامية إمامه رفيقنا ومترجمنا الشيخ جيمو الذي قال إن أصل هذه الكلمة (جمال).

وقبل دخول المسجد رأينا في فناء ضيق يقع إلى الشمال منه قبرين، بل شاهدي قبرين ذكر الإخوة أنهما ليسا في هذا المسجد، و إنما هما منقولان من قرب مسجد كان الشيوعيون قد هدموه فنقل بعض المسلمين هذين القبرين إلى هذا المكان صيانة لهما من الابتذال.

وشاهد أحد القبرين عليه كتابة باللغة التركية ذات الحروف العربية مؤرخ في ١٢٨١هـ والنصب أو الشاهد الآخر هو لضابط كبير في الجيش التركي كتب عليه تاريخ وفاته بأنه في ١٨٦٢م، وكان هذا المسجد هو الرئيسي في المدينة وقد هدم أثناء الحرب العالمية الثانية من دون قصد له بذلك وإنما هي الحرب التي بين ألمانيا والجيش الصربي، وكان هدمه في عام ١٩٤٣هـ هدمه الحلفاء غلطاً.

مسجد عثمان آدا:

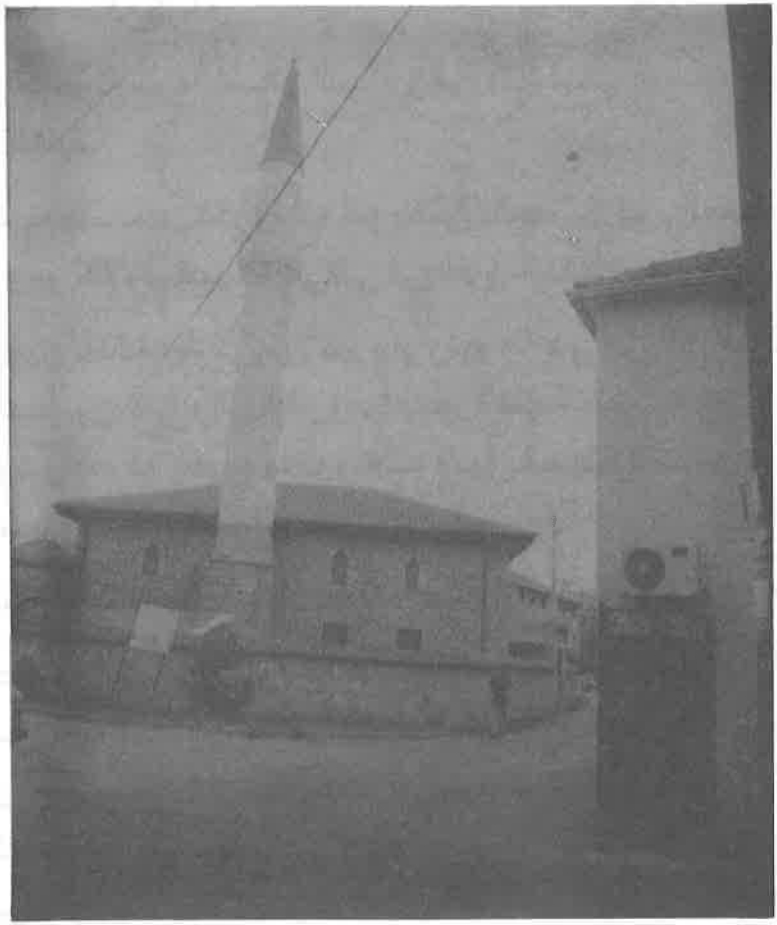

مسجد عثمان آدا في بود غوريسا

من مسجد الدكاكين وهو أول مسجد أسس في مدينة (بودقوريسا) انطلقنا لرؤية مسجد آخر كان هدم أيضاً خلال الحرب العالمية الثانية، وهدمه كان من بين الأبنية المهمة التي رآها الحلفاء وفي ذلك الوقت لا توجد استخبارات دقيقة، ولا تهديف دقيق لوسائل الحرب وأدواتها سقطت عليه قنبلة من طائرة محلقة لم تقصده بالذات.

وهذا المسجد أصغر من الأول ولكنه أجمل مبنى وأكثر نظافة على نظافة الأول نظافة كاملة.

في مؤخرته شرفة لصلاة النساء وهي مثل سائر المسجد مفروشة بالسجاد الخفيف.

ولم نعجب حين ذكروا لنا أنه يمتلئ بالمصلين يوم الجمعة، لأنه صغير، وهو كالأول قديم المبنى بني في القرن الخامس عشر.

وجميع نفقاته الأولى من كهرباء ونحوها هي من التبرعات التي يقدمها المسلمون هنا، وإلى الشرق منه مقبرة قديمة مندرسة حتى أشكال القبور وشواهده قد ذهبت منها وبقيت أشبه بالحديقة الصغيرة بجانبه، لأن أرضها يجللها العشب الأخضر.

ويقع في محلة من المدينة القديمة اسمها (سنار افاروش).

وعندما رأيت عنايتهم واستعداد المشيخة الإسلامية للعمل هنا والنظام الذي تسير عليه قلت لهم: إننا في الحقيقة لم تكن لدينا معلومات كافية عن المسلمين ومؤسساتهم في هذه البلاد ففوجئنا، فعلق الأخ الشيخ (بيرم...) على ذلك بقوله: المسلمون في هذه البلاد غير معروفين من إخوانهم المسلمين خارجها، وإنما يعرف الناس المسلمين في البوسنة وكوسوفا وربما كان ذلك بسبب الحرب التي وقعت فيهما، فهل يحتاج السملمون في الخارج لكي يعرفونا إلى أن نشعل حرباً؟ أو يشعل أحد ما ضدنا حرباً؟

فقلت له: الأمر الآن ليس كذلك فقد جئنا إلى بلادكم، وشاهدنا ما سرنا فيها من أحوال المسلمين، مع أننا لم نستكمل ذلك حتى الآن، وأنا كما يعرفني بعض المسلمين فضولي بقلمي ولساني، وأنوي أن أكتب كتاباً صغيراً منفرداً عن مشاهداتي في بلادكم التي أهمها، بل المقصود الأعظم منها هو بيان حالة المسلمين وأحوالهم المادية وأوضاعهم الدينية.

المشروع الكبير:

أنهينا ما أردنا رؤيته من مدينة (بودقوريسا) القديمة ورؤية بعض المساجد فيها، وتوجهنا قاصدين مركز الثقل للمسلمين في البلاد وهو مدن وقرى واقعة على شاطئ بحر الأدرياتيكي ولكننا سوف نمر بمشروع كبير للمسلمين يضم مسجداً جامعاً ومدرسة واسعة قليلة النظير في المدارس الحكومية وحتى في مدارس النصارى.

ويطلقون على المشروع (المدرسة) يعتبرون كل المنشآت التي معها تابعة لها وهي التي سيأتي الكلام عليها.

ضاحية ريفية قرب بودغوريسا

وقال الأخ (بيرم أغيتش) ووظيفته كما أخبرونا أمين المشيخة الإسلامية، ولكنه يمارس وظيفة نائب المفتي بالفعل عند غيابه، والمسلمون بنوا هنا يشير إلى مدينة بود قوريسا وملحقاتها (٤٠) مسجداً، لأنهم ينون المقام هنا، ولا يريدون التحول إلى أية جهة أخرى، وهذا ظاهر من حالهم وكون الحكومة تجاملهم ولا تضايقهم بشيء، ولكون نسبتهم إلى السكان كبيرة فهي حسبما أخبرنا به المسئولون في المشيخة الإسلامية ٢٣% وذكروا أن الإحصاءات الرسمية الصادرة عن الحكومة تذكر أن نسبة المسلمين هي ٢٠%.

وحتى هذه هي نسبة كبيرة، ولا يعرفون أنهم حصلت لهم مشكلات مع الحكومة وبخلاف حكومة صربيا المجاورة التي يسيطر عليها الصرب فإن فيها أناساً متعصبين ضد الإسلام والمسلمين، وليس أدل على ذلك من أنهم أحرقوا جامع بلغراد وهو الجامع الوحيد في تلك المدينة التي يقطنها عدد كبير من المسلمين كما أحرقوا جامع (نيش) وذلك في عام ٢٠٠٤م، وسبق أن أصاب أناس مسجد (نوفي صاد) عاصمة إقليم (نوفودينا) ذي الحكم الذاتي، ورأينا آثار الحريق على تلك المساجد، وإن كانت كلها أصلحت بأموال من الحكومة الصربية، لأن الحكومة الحالية ترغب في إصلاح علاقات صربيا بالمسلمين وغيرهم، بعد أن تسببت الحكومة المتعصبة السابقة بنكبات لصربيا كان من نتائجها ضياع إقليم (كوسوفا) منهم، وضياع نفوذهم في البوسنة، وتفكير سكان الجبل الأسود بالانفصال عن الاتحاد الذي يجمعهم بها.

وقد ذكرت مشاهداتنا عن المساجد التي أحرقها المتعصبون الصرب والشريط التلفازي الذي التقطه أحد موظفي التلفاز الصربي

وأوضح كيف كان أولئك المتعصبون من الصرب يرمون القنابل على المسجد وعلى المركز الإسلامي الذي يبنى بجانبه من فوق رؤوس الشرطة الذين كانوا موجودين لحماية الجامع.

وذكرت ذلك في الكتاب التي كتبته عن جمهورية صربيا في هذه الجولة قبل الوصول إلى (الجبل الأسود) بعنوان: (قضاء الإرب من الجولة في بلاد الصرب).

مررنا ونحن ذاهبون إلى المشروع الكبير بنهر جاف يشبه الوديان الصحراوية التي كانت جرت بمياه السيول ثم جفت.

مع العلم بأن الأمطار ليست قليلة وأن المدينة يمر بها نهر (وراتشا) الذي ينتهي في البحر قريباً منها، وتبعد المدرسة بل المشروع الكبير تسعة كيلومترات عن قلب المدينة.

المنارة الشامخة.

الشموخ والوضوح هما السمة الغالبة على مآذن المساجد في هذه المنطقة، لذا لم نعجب عندما رأينا على البعد منارة بيضاء عالية، وقال الإخوة: إنها منارة المسجد الجامع قرب المدرسة.

وهي- كما قلت- بيضاء غير أن رأسها نحاسي اللون، إمعاناً بتميزها والعناية بها.

وعندما اقتربنا قليلاً من المكان اتضح منظر قبة المسجد التي هي أيضاً واسعة نحاسية اللون، يجانبها قبتان صغيرتان.

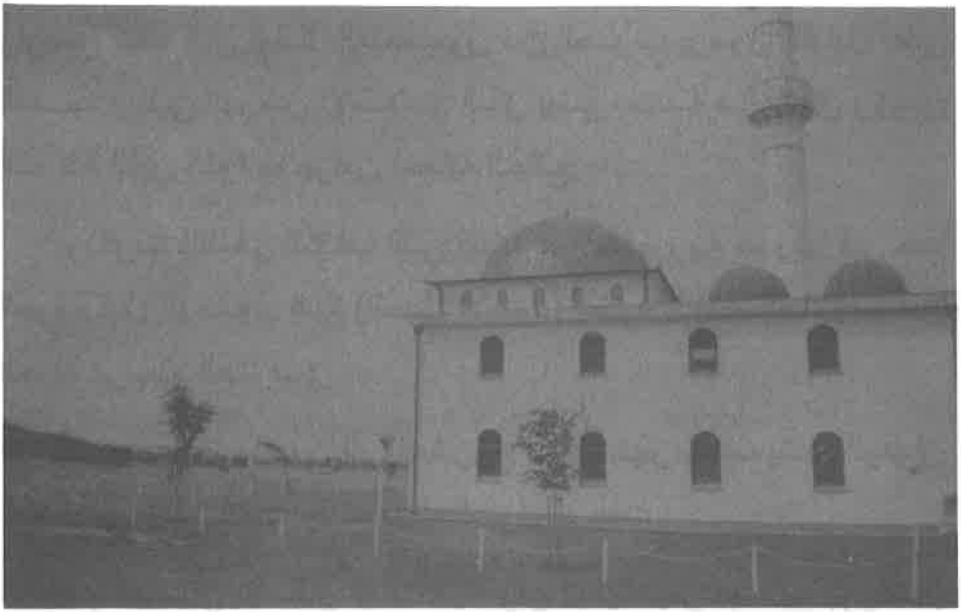

مسجد المدرسة الثانوية قرب بودغوريسا

وقفنا عند هذا المسجد الشامخ النظيف الذي ينطق كل ما فيه بالعناية والنظافة، بل بالفخامة، وجاء بعض الإخوة يحدثوننا مع المرافقين عن هذه الأرض، ومن أهمهم في هذا الأمر مرافقنا هنا الشيخ (إدريس....) رئيس المشيخة الإسلامية سابقاً، لأن اختيار أرض المدرسة وشرائها كان في عهده.

أخبرونا أن مساحة الأرض هي خمسة عشر ألف متر مربع، وأنهم اشتروها من الحكومة بتسعة ماركات ألمانية للمتر الواحد، أي نحو ٣٥ ريال للمتر، وهذا سعر رخيص، لكن يجب أن نتذكر أن الأرض خارج المدينة يفصل بينهما مساحة من الفراغ وأنها لم تكن معمورة بل هي أرض بيضاء.

قلت للمفتي السابق ولنائب المفتي الحالي: ألم يقل بعض الناس: إنها بعيدة عن المدينة؟ فقالا: بلى، قالوا ذلك فقلنا لهم: إننا نطمح إلى أن نبني

مساكن للطلبة والمدرسين عليها حتى نضمن للطلاب والطالبات في المدرسة جوّاً دراسياً تربوياً بعيداً عن الملهيات في المدينة.

فقلت لهم: من ناحية فنية دراسية فهذا أحسن جو للمدرسة، لأنه نقي الهواء بعيد عن الملوثات المعنوية، كما أنه بعيد عن الملوثات المادية.

وأذكر أننا عندما أردنا افتتاح الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عام ١٣٨٠هـ وتبرع الملك سعود رحمه الله بمباني تابعة للقصر الملكي على شفير وادي العقيق على مسافة نحو ٨ كيلات قال بعض الناس: إن هذا المكان بعيد، وقلنا لهم: إنه الجو الدراسي المثالي لمعيشة الطلاب وسكنهم.

بنى المسجد وحده:

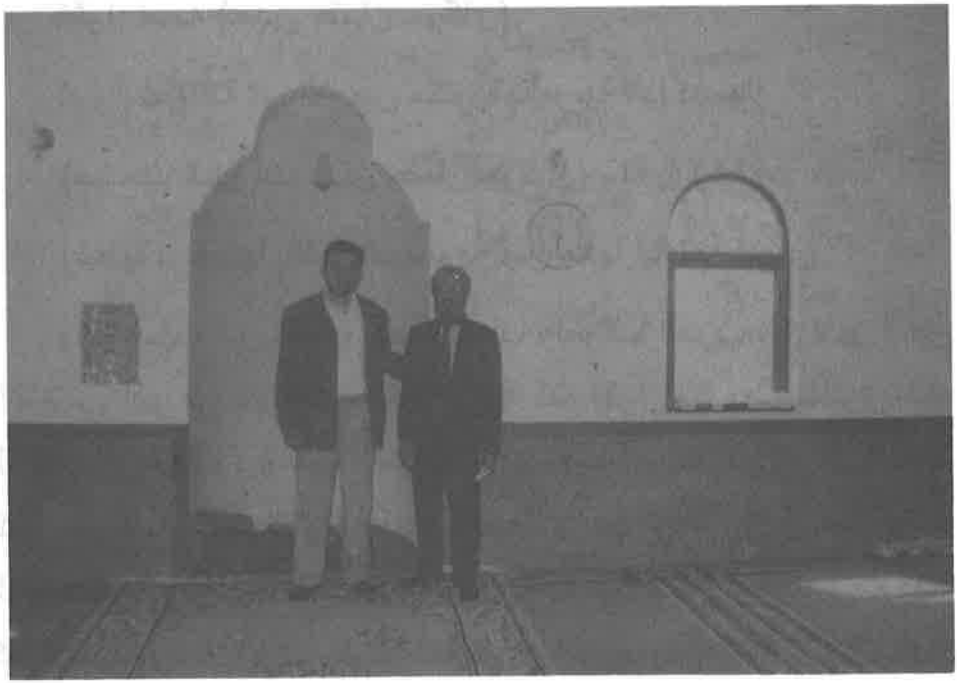

صورة مع إمام مسجد المدرسة الثانوية قرب بودغوريسا

وجدت المسجد بعد أن دخلناه واطلعنا على نواحيه ومرافقه، والشرفة الواسعة في أخره للنساء التي هي منحنية بانحنائه، قلت لهم: إن هذا المسجد قد احتاج إلى نفقة عظيمة، لأن المواد التي بني بها كلها غالية حتى الأبواب والنوافذ والرخام.

فقالوا: إن ذلك كله من شخص واحد محسن يقيم الآن في كليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية.

بناه كله وأنفق عليه من ماله، ولم يقبل أن يشاركه أحد في ذلك.

فقلت: إنه عمل عظيم يدل على سخاء نفس الرجل وإيمانه ومحبته للخير فما هو اسمه؟

قالوا: اسمه (حسن عثمان جوكاي).

ثم رأيت لافتة في الأرض مكتوبة بالعربية هذا نصها:

(صاحب الخيرات حسن عثمان جوكاي) سنة ١٤٢١هـ.

وتحتها ترجمتها باللغة البوسنوية ليس معها أية لغة أخرى.

وقد عجبت من تقصير بعض أهلنا وإخواننا العرب في نشر الدين الإسلامي الذي في نشره نشر للغة العربية: لغة القرآن الكريم، وذلك أن هذه اللافتة مكتوبة بالعربية على أرض جمع أهل هذه المدينة على أرضها قليلاً قليلاً حتى أكملوا استملاكها وجاء هذا المحسن العظيم فتبرع من عنده ببناء المسجد الجامع، وليس لنا نحن العرب أية يد في خدمة المسجد ومع ذلك كتبوا اللافتة باللغة العربية لكونها لغة القرآن الكريم.

ورأيت بانيه جزاه الله خيراً قد أكمله بما يلزم لأمثاله من المساجد الواسعة الجميلة فجعل فيه ثريا ضخمة واسعة غالية الثمن كالتي تكون بالجوامع التركية الكبيرة.

وهو عالي السقف.

وجاء إمامه الشيخ عبدالله بن أحمد عارفي من أهل هذه المدينة، بل من أهل هذه الناحية الملاصقة لضاحية المدينة، والمفرح أن الإمام هو أحد خريجي الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وذكر أن القرية التي نشأ فيها وفيها أهله لا تبعد عن هذا المسجد إلا بمسافة ثلاثة كيلومترات.

وحدثنا الإمام عن عدد المصلين والقوم يسمعون وفيهم من هم بالعربية عارفون فذكر أن عدد المصلين في هذا المسجد هو بمعدل مائة مصلٍّ وفي الصلوات اليومية ما بين ٢٠ إلى ٣٠ مصلياً.

هذا مع العلم بأن المسجد جديد وأن مساكن المدرسين ومهاجع الطلبة لم تستكمل بعد، بمعنى أنه لا يوجد سكان ملاصقون له، ولكنهم ذكروا أن هناك قرى وفلاحين يأتون إليه من أجل الصلاة فيه، لأنه لا يوجد بقربه مسجد حديث نظيف مثله.

ومن الوفاء للمحسن الكبير الذي بنى المسجد أنهم أسموه (مسجد حسن) نسبة إلى ذلك المحسن الذي اسمه: حسن، أما المكان فإنه واقع في حاشية قرية قديمة اسمها ميلاش.

مبنى المدرسة:

وجدنا مبنى المدرسة الواقع بجوار المسجد ضخماً بل عظيماً في معناه فهو مبنى بالأسمنت المسلح القوي وهو واسع ذو طبقات ولا

يستطيع الإنفاق عليه مثل هذه النفقة، إلا حكومة أو هيئة غنية وتبين أن من أسباب ذلك أن البنك الإسلامي للتنمية قد ساعد على بناء هذه المدرسة بتبرعه بمبلغ جيد.

ولاحظنا في المبنى أنهم بنوا جدرانه مضاعفة بمعنى أن الغرفة يكون حائطها وهو جدارها ليس واحداً ولكن اثنين بينهما فراغ قليل وهذا نفعله نحن اتقاء للحر وهم هنا يفعلونه بغية المحافظة على عدم تغير الجو داخل الغرفة، إذا تغيرت حالة الجو في الخارج.

وقد بنوا الحيطان المعزولة هذه بالآجر الأحمر الذي هو نفسه لا يوصل الحرارة والبرودة كما يفعل لبن الأسمنت.

تجولنا في مبنى المدرسة فأعجبنا بكثرة غرفه ومرافقه حتى إن فيه قاعة كبيرة مسقفة، كأنها الغرفة الكبيرة أسموها غرفة الرياضة، تمارس فيها أنواع الرياضة التي لا تحتاج إلى ميدان واسع.

وصعدنا إلى السطح فوق الطابق الثاني فأبصرنا المنطقة كلها فيها قرى زراعية، ولكنها غير مزدحمة.

وهناك مبنيان آخران بالأسمنت المسلح أحدهما بيت الإمام والثاني كبير وممتد على هيئة غرف متصلة يتقدمها رواق ذو أقواس هلالية ذكروا أنه لمهاجع الطلبة حيث من المقرر أن يدرسوا ويسكنوا في هذا الجو الدراسي البعيد عن المؤثرات الضارة في المدينة ويشرف على تربيتهم وتعليمه أساتذة ثقات.

وذكروا أن الدراسة في المدرسة ليست مجانية، إلاَّ لمن لا يستطيعون، وإلا فإنهم يتقاضون رسوماً دراسية تساعدهم على الإنفاق على المدرسة،

وإن لم تكن كافية لأنهم قرروا أن يستعينوا بالتبرعات لكن لابد من أخذ رسوم من أولياء أمور الطلبة الذين يستطيعون دفع تلك الرسوم.

والحقيقة أننا أعجبنا عظيم الإعجاب بهذه الفكرة وأكثر من ذلك بتنفيذها على الوجه الأكمل.

بلدة توزي:

غادرنا قرية (ميلاش) التي فيها هذا المشروع العظيم وقصدنا بلدة (توزي) ويسمونها (مدينة توزي) على اعتبار أنها كبيرة ولا أظنها كذلك.

ورأينا على البعد منارة مسجدها بيضاء ناصعة البياض شامخة غاية في الشموخ، ومع ذلك هي رشيقة جميلة.

وقد قست المسافة بالسيارة التي رأينا تلك المنارة فإذا هي أربعة كيلات، مع العلم بأنني لست من حديدي البصر.

ومن العجيب أنهم جعلوا في المسجد منارة أخرى أصغر من الأولى الرئيسية وهذه المنارة الصغيرة هي بيضاء أيضاً.

وهكذا يحرص هؤلاء الإخوة هنا على أن تكون مآذن مساجدهم بيضاء لأن اللون الأبيض يرمز للنقاء والنظافة.

وجدنا المسجد مغلقاً لأن الوقت ليس وقت صلاة فنحن الآن في الحادية عشرة ولم يخبر الإخوة المسئولين عنه بمجيئنا إليه أحد، وقرأنا لافتة عليه تقول ما معناه: بني هذا المسجد في عام ١٣٦٧هـ.

واسمه، (مسجد كاظم بيك).

مسجد كاظم بيك في قرية توزي

ورأيت فيه ما في بعض المساجد المعتنى بها في صربيا والجبل الأسود، وهو أن يجعلوا محلات الوضوء منفصلة عن مبنى المسجد وغيره على هيئة صومعة مستديرة غاية في النظافة، وفي محلات الوضوء هذه كرسيان معدان للقاصرين جسمياً الذين لا يستطيعون أن يتوضؤا وهم في الوضع الطبيعي المعتاد للوضوء، فيستعمل الواحد منهم هذا الكرسي.

والمسجد ليس منفرداً، بل تحيط به بيوت عدة فيها عرائش العنب تطل من أسوار البيوت، وتبعد مدينة أو بلدة (توزي) تسعة كيلات عن العاصمة (بودغوريسا).

قابلنا رئيس المسلمين في القرية واسمه (واحد دي زار) والتقطنا معه صورة تذكارية بعد أن تذاكرنا في أحوال المسلمين في هذه المنطقة القريبة من العاصمة.

وقال الشيخ (بيرم) القرى كلها فيها مسلمون، وصادقه رئيس الجماعة المسلمة في (توزي) هذه.

ومررنا بمقبرة للمسلمين خارج المدينة فذكروا أن هذه أعطيت للمسلمين عوضاً عن مقبرة إسلامية في داخل المدينة استولت عليها البلدية، لأنها واقعة في مكان مهم من المدينة وهذه الأخيرة أوسع وأفسح.

وقد عبر الإخوة المرافقون عن ذلك بأن مقبرة المسلمين داخل المدينة دُمِّرت، و لم يذكروا من دمَّرها.

إلي منطقة الساحل:

منطقة ساحل البحر وهو بحر الأدرياتيكي يكثر فيها المسلمون، بل قال بعض الإخوة: إن ثقل المسلمين هو في مدن الساحل وقراه، وليس ذلك من الناحية العددية فحسب، وإنما هو من ناحية النشاط الإسلامي، وسوف نقص عليك ذلك مفصلاً بإذن الله.

وأهم بلدة للمسلمين في ساحل البحر من الناحية التاريخية هي مدينة (أولسين) إذْ يعتقد أنها الوطن الأول للمسلمين في منطقة الجبل الأسود هذه، وأن المسلمين القدماء من أهلها جاءوا إليها من صقلية أي من جهة

الغرب عن هذا الساحل، فالإسلام كما تقدم ذكره جاء إليها من جهة الغرب على أيدي العرب المسلمين الذين كانوا يتكلمون العربية، و يدينون بالإسلام ويسميهم المؤرخون هنا بأهل السفن وبالصقيليين- نسبة إلى جزيرة صقلية الواقعة في البحر الأبيض المتوسط التي حكمها المسلمون لمدة تزيد على قرنين ونصف من الزمان، وقد ذكرت زيارتي لصقيلية، ونقلت ما ذكره المؤرخون العرب عنها في كتاب: (جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط) الذي لا يزال مخطوطاً.

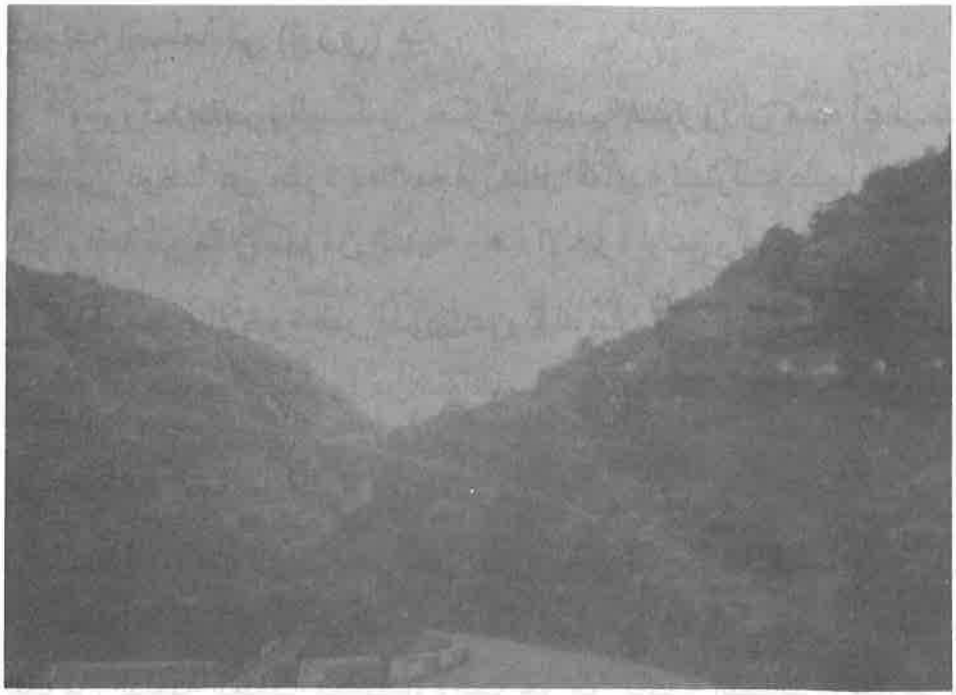

جانب منخفض من جبال جمهورية الجبل الأسود الساحلية

وقد أجمع من رأيناه من أهل الخبرة من أهل هذه البلاد أو من أهل مدينة (أولسين) هذه أن فيها أسراً تمتُ بأصولها إلى العرب الصقيليين الذين

جاءوا إليها من الغرب بسفنهم ودخلوا في هذه المنطقة لأول مرة، وذلك رغم الحروب التي شنها عليها أعداء الإسلام الأوروبيين الذين عرفوا بالأوروبيين المتحدين- من الاتحاد- لأنهم اتحدوا في محاربة الإسلام والمسلمين في هذه المنطقة من ساحل البحر الأدرياتيكي، وسبق لنصارى المنطقة يقودهم بيزنطيون ويشجعهم بابوات روما أن شنوا حروباً طاحنة متواصلة ضد المسلمين في جزر الأبيض المتوسط مثل مالطة التي نجحوا في إخراج المسلمين منها ولكنهم لم ينجحوا في إبعاد اللغة العربية فيها فبقيت لغتها عربية حتى الآن كما ذكرت ذلك عندما شاهدته عياناً في كتاب: (جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط) الذي أشرت إليه قريباً.

وشنوا حملة شعواء بل حملات على المسلمين في جزيرة كريت، حتى قضوا على العرب المسلمين فيها وظنوا بذلك أنهم قضوا على الإسلام فيها إلى يوم القيامة، ولكن شاء الله تعالى أن تعود موطنا مواطن المسلمين على أيدي الأتراك العثمانيين الذين بقوا فيها قرابة أربعمائة سنة، بنوا فيها المساجد والمدارس الإسلامية، ثم أذيلت دولتهم لصالح الكفار فرجعت صليبية معادية للإسلام حتى جاء العصر الحديث فنشأت فيها حركة إسلامية وليدة هي (رابطة مسلمي كريت) التي افتتحت فيها حتى الآن ثلاثة مساجد في الجزيرة وهي أماكن للصلاة بعضها ملك للجمعية وليست بمساجد لها مظهر المساجد من قباب ومنابر كالتي هنا في الجبل الأسود.

والحاصل أن المتعصبين الأوروبيين في القديم لم يكونوا يتحملون أن يوجد في المنطقة مسلمون وهي المنطقة التي يعتقدون أنها منطقتهم، وأنه لا ينبغي أن تكون فيها ديانة غير ديانتهم.

بلدة قولوبوفيتش:

غادرنا منطقة العاصمة في الحادية عشرة والثلث ضحى ومعنا سيارتان فوصلنا بسرعة إلى بلدة اسمها (قولوبوفتش) ليس فيها مسلمون ولا مسجد.

ولاحظنا فيه كثرة العنب والورود المتفتحة لأن هذا هو فصل الربيع، بل أول القيظ ومنطقتها خصبة حتى إن الأعشاب التي تحيط بالطريق العام كانت مرتفعة مزدهرة وهي أعشاب برية قد نمت عفوياً.

وذكر لنا المرافقون أن حدود جمهورية البانيا لا تبعد من هنا أكثر من ١٢ كيلومتراً، ونحن الآن نسير قرب البحر.

بحيرة اسكدر:

وصل الطريق إلى بحيرة واسعة اسمها (اسكدر) بلغتهم وهي تصل إلى حدود ألبانيا ولم نطل المكث عند البحيرة رغم جمال منظرها، وأن الشمس صاحية تميل للحرارة، وقد نوهوا بكثرة الأسماك، حتى إن بعض الناس يعيشون على صيد الأسماك منها، وإنما التقطنا بعض الصور التذكارية ثم واصلنا السير فقابلنا قطار ليس بكثير العربات ومررنا بقلعة عثمانية ذكروا أنها معروفة هنا بالقلعة التركية.

وقد سارع بعض المرافقين بذكر مزايا هذه المنطقة بأن الجو فيها معتدل وأن فيها بحراً وأنهاراً فيها أسماك وهي أيضاً منتجة للفاكهة.

المؤلف مع الشيخ بيرم.... عند بحيرة أسكدر في جمهورية الجبل الأسود

واصلنا السير مع الطريق الذي هو جيد لا عيب فيه إلاَّ ضيق فيه بالنسبة إلى طرقنا الواسعة المريحة فوصلنا إلى منطقة جبلية متطامنة أي غير مرتفعة.

ثم ارتفع الطريق مع منطقة جبلية والجو صاح بل شامس، والبحر يساير الطريق أو الطريق يساير البحر(سيان) ولكن مع فرق كبير بينهما من الموقع فالطريق الآن يقع وسط منطقة جبلية تشرف على البحر.

ذكر الإخوة أن الحكومة تعمل الآن في نفق يخترق هذا الجبل وأنه إذا تم فسوف يختصر الطريق البري كثيراً، لأنه يعفي المسافرين من الصعود إلى الجبل والتلوي فيه بغيه الممرات المناسبة.

وهذا الجبل الذي نحن نسير فيه مكسو بالخضرة التي أغلبها خضرة الأعشاب الربيعية إلى جانب أشجار من أشجار الغابات غير المثمرة.

الطريق الأخضر بين بودغوريسا وأولسين في الجبل الأسود

وقد أحاطت بالطريق زهور ربيعية صفر مما نبت عفواً من دون استنبات والسرعة في هذا الطريق الجبلي محدودة، والناس لا يسرعون فيها لأنها خطرة لكثرة المنحنيات فيه.

ثم مررنا بقرية اسمها (شانج) ليس فيها مسلمون، ونتيجة لذلك ليس فيها مسجد.

ذكر مرافقنا الحصيف الأستاذ (بيرم أغيتش) أمين المشيخة الإسلامية ونائب المفتي في جمهورية الجبل الأسود أن قريته التي ولد فيها ليست بعيدة من هنا، ولكن الطريق لا يمر بها وتقع في منطقة وعرة.

بلدة سوتو موره:

انحدر بنا الطريق من الجبل إلى ساحل البحر، حيث وصلنا بلدة اسمها (سوتوموره) وهي ساحلية ذكروا أنها سياحية يقبل الناس عليها في الصيف من أجل السياحة والتنزه في البحر.

وليس فيها مسلمون.

وقلت لهم: إن بلادكم واسعة فهي خصبة ومعمورة على قلة السكان فيها بحيث إذا قارنا بينها وبين لبنان نجد أنها أوسع رقعة منه، ولكن عدد سكانها لا يزيدون على ستمائة ألف نسمة، على حين كون لبنان أضيق مساحة وسكانه يبلغ عددهم ثلاثة ملايين نسمة.

وقفنا قليلاً في هذه البلدة التي لم أر فيها ما يستحق اللبث، ولذلك كان وقوفنا في شارعها العام الذي هوجزء من الطريق العام في هذه المنطقة.

وقد شعرنا فيها بالحر والرطوبة خلاف ما كان عليه الأمر في المنطقة الجبلية من جمهورية الجبل الأسود التي كنا فيها أمس وبخاصة مدينة(روزايا) التي كنا نرتدي فيها الملابس الصوفية ونشعر بالبرد في النهار، والتي ذكر أهلها أن التفاح لا ينمو ولا يثمر في بعض أقسامها يمنعه الثلج وشدة البرد من ذلك.

مدينة بار:

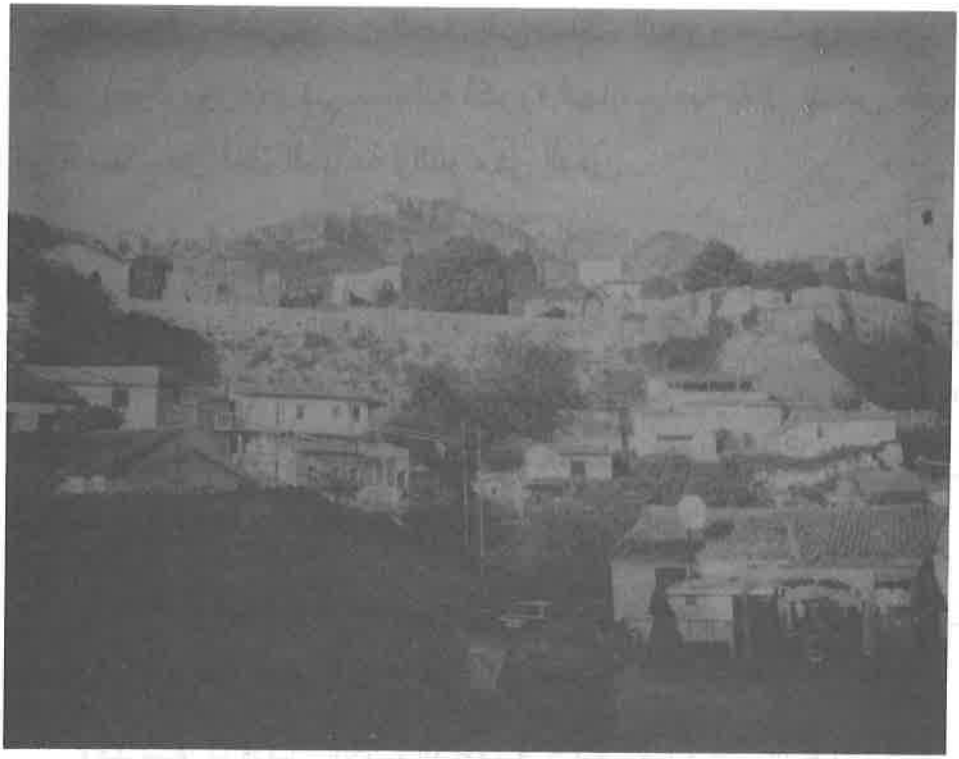

بلدة (بار) القديمة تبدو كالمتسلقة للجبل

أقبلنا على مدينة (بار) التي تقع بين البحر الأخضر ذي الشاطئ الرملي الفضي وبين الجبل الأخضر.

من الأشياء التي جعلت لهذه لمدينة أهمية عندنا أن المسلمين يؤلفون النصف من سكانها وفيها مساجد.

رأيت لافتة فيها تقول: (سانت بار) ذكروا أن معنى ذلك بار القديمة أي القسم القديم من مدينة (بار) فسانت هنا معناه بلغتهم: القديمة.

ورغم ما ذكرناه من تقاسم المسلمين والمسيحيين سكنى المدينة فإن المرء يرى من الطريق المساجد فيها ولا يرى الكنائس، ومثل ذلك كثير في القرى التي فيها مسلمون يرى الذين يسير مع الطريق المساجد ظاهرة المنار، واضحة المعالم، ولا يرى الكنائس، فسألت الإخوة المرافقين عن ذلك فقالوا: الكنائس موجودة ولكنها لا تكون على الطريق أو بقربه وإنما يبنونها داخل الجبال، وذكروا على سبيل المثال أن في مدينة (بار) هذه أربع كنائس اثنتان منها للأرثوذكس، واثنتان للكاثوليك، ولم أر لها وجود من الطريق العام.

وأما المساجد فإن في مدينة (بار) نفسها ثلاثة مساجد ولكن في ملحقاتها أو ضواحيها القريبة تسعة مساجد.

رأينا أحد هذه المساجد من الطريق ذا منارة بيضاء رشيقة تنتصب وسط الخضرة الغامرة: خضرة الربيع أو أوئل القيظ في هذه البلاد.

قرية دوبرافودا:

لم نقف طويلاً في مدينة (بار) على اعتبار أننا سنزورها بعد الانتهاء من زيارة مدينة (أولتسن).

وواصلنا السير فوصلنا بسرعة إلى قرية اسمها (دوبرافودا) ومعناه: الطيبة باللغة البوسنوية لأن (فودا) فيها هي (طيب) أو طيبة.

وهذه القرية مثل مدينة (بار) يؤلف المسلمون نصف السكان فيها، ويبلغ عدد سكانها سبعة آلاف نسمة لهم مسجد واحد فيها.

الطريق الجبلي الخصب قرب الساحل في جمهورية الجبل الأسود

هذا ونحن نقترب من الحدود الإيطالية التي تقع إلى الشمال من جمهورية الجبل الأسود، وقد زادت خضرة العشب الطبيعي عندها حتى أصبح زهره كالبسط الصفر المنسقة.

وقد كست هذه الزهور البرية البريئة أيمن الطريق وأيسره ببسط جميلة، كأنما هي تحتفي بالقادمين.

هذا وقد اتسع السهل الذي يقع بين البحر والجبال، وغمر الجمال بحر المنطقة وساحلها وجبالها.

وفي هذه الأثناء تلقى الأخ (بيرم) نائب المفتي اتصالاً هاتفياً بالجوال من المفتي نفسه الشيخ (رفعت قيزيتش) فقد اتصل من الكويت

ليسلم بالهاتف، ويسأل عن الحال، ويبدي أسفه على أنه لم يكن في جمهورية الجبل الأسود عندما وصلنا.

فشكرته على ذلك وقلت له: إن الأخ الشيخ بيرم والشيخ جيمو لم يقصرا في تنفيذ ما أمرهما به من إكرامنا وتسهيل مهمتنا.

وكرر قوله: إنه لم يكن يعلم بموعد قدومنا إلى جمهورية الجبل الأسود، وهذا صحيح، فنحن لم نحدده له، اعتماداً على أن الإخوة في بلغراد سوف يخبرونه وإخوانه.

هذه أولسين:

المؤلف في شارع أسكدر بيك في مدينة أولسين في الجبل الأسود

بدت مشارف مدينة (أولسين) التي هي الهدف الأبعد لجولتنا هذه في ساحل البحر الأدرياتيكي واسعة النواحي متفرقة الضواحي تحتل مكاناً خصباً على ساحل البحر الأخضر حتى يلتهم المستوي من الأرض عنده أو يكاد، و إن كان يفسح الطريق لضواحيها وقراها فتتسع ما شاءت من الاتساع وتعطي المنطقة الشعور أحياناً بوجود سهول تغطيها الحقول.

وصلنا إليها والساعة تقترب من الثانية ظهراً، ولدى الإخوة من أئمة المساجد والعاملين في المدن الإسلامية فيها علم بوصولنا.

وكان الترحيب الأعظم بالنسبة إلينا هو من منارتين بيضاويين لمسجدين ظاهرين في المدينة زاد منظرهما جمال المدينة على جمال، وبث الطمأنينة في نفوسنا على هذه المدينة التي هي أول مدينة دخلها الإسلام في المنطقة، وذلك في عصر قديم لم نكن نعلم من أمره شيئاً ذا بال، وإنما كنا نظن قبل ذلك أن الأتراك العثمانيين هم أول من أدخل الإسلام إلى المنطقة، وأنهم جاءوا إليها من جهة الشرق.

أما الآن فقد عرفنا مما استفاض لدى هؤلاء الإخوة أن عرب المغرب أو على الأدق عرب أوروبا المسلمين المطرودين منها هم أول من أدخل الإسلام إليها جاءوا إليها من جهة الغرب.

وفي شارع واحد رأينا هاتين المنارتين الناصعتين.

وكل ما حول المرء من مناظر ونحوها من ضواحي هذه المدينة وأطرافها يوحي بالخصب، ويفيض بالجمال.

ورغم كل ما بذله أعداء الإسلام من انتزاع الإسلام والمسلمين من هذه المنطقة فإن هذه المدينة (مدينة أولسين) لا تزال مسلمة يؤلف المسلمون ٨٠% من سكانها.

في مدينة أولسين:

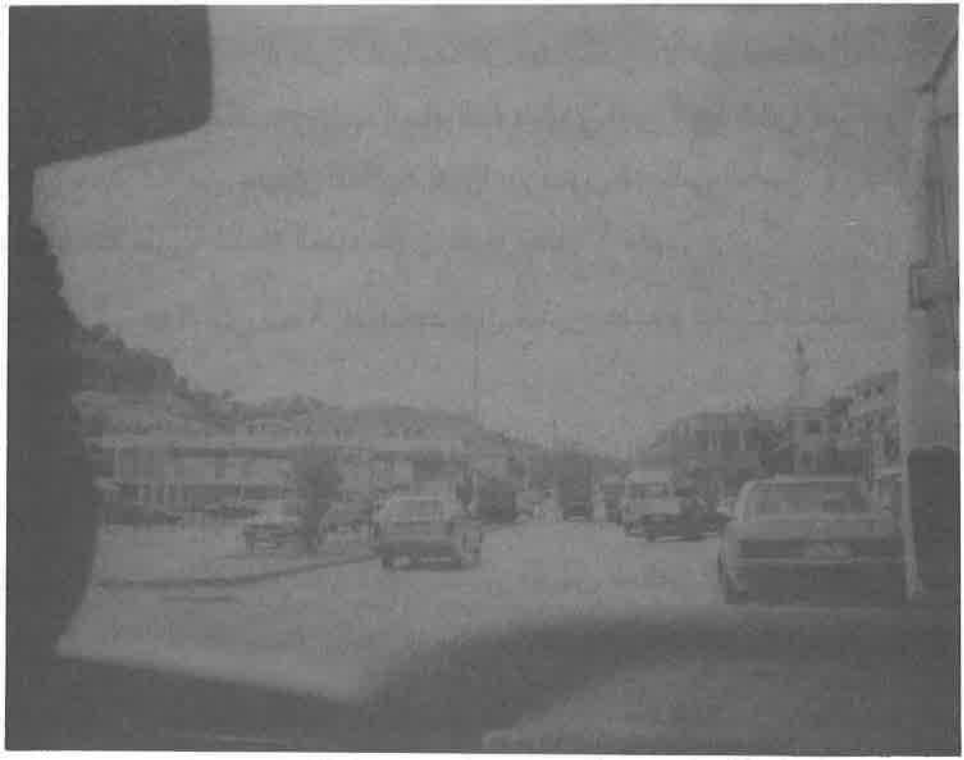

شارع في مدينة أولسين على ساحل البحر في جمهورية الجبل الأسود وترى فيه منارة عالية في أيمن الصورة

تركنا الشارع العام الذي قدمنا معه وسلكنا بعد أن وصلنا المدينة شارعاً فرعياً وأول ما سررنا له منظر منارة ظاهرة واسعة، رأسها وهو أغلاها أخضر وليس ذهبياً.

كان المرافقون على اتصال بزعماء المسلمين في المنطقة بالهاتف لذلك ذهبوا بنا بناء على اتصالاتهم إلى مطعم في شارع وصفوه لهم واقع في القسم القديم من المدينة.

وجدنا في انتظارنا فيه رئيس الأئمة في المدينة وضواحيها الشيخ (رجب ليكا) ومعهد عدد من أئمة المساجد والعاملين في الميدان الإسلامي هناك.

وقد مسنا الحر والرطوبة فيها مما لم نعهده حتى ولا في اسطنبول فأسرع الجميع بخلع المعاطف، وطلب الماء البارد الذي تبين أنهم كانوا استعدوا به وبأنواع منوعة من عصير الفاكهة كانوا بترددون به على الجميع، ووجدناهم أعدوا مائدة طويلة لطعام الغداء جلس عليها معنا ١١ منهم.

فيهم عدد من أئمة المساجد من الذين عليهم عمائم العاملين في الحقل الإسلامي.

ومن المفارقات فيما يتعلق باللباس أن معظم الإخوة العاملين في الحقل الإسلامي هنا عليهم الملابس التي يلبسها أئمة المساجد وهي المميزة لهم عن غيرهم على حين كوننا ونائب المفتي نلبس اللباس العالمي المسمى بالإفرنجي، وكان المعقول أو القريب في الفهم أن يكون العكس هو الصحيح.

ونحن نعلم من أنفسنا أننا لبسنا هذا اللباس طلباً للأمن ولئلا يعرف أننا عرب مسلمون وأمثالنا ممن يظن فيهم الغنى بل الثراء فيصبحون هدفاً للسراق والمحتالين.

على أن الإخوة هنا من العاملين في الميدان الإسلامي يكون لديهم نوعان من الملابس أحدهما لباس العمل الذي يلبسه رجال العلم الديني والثاني لباس سائر الناس ورأيتهم يبدلون ملابسهم في مدة قصيرة كأن يلبس الشخص منهم أول النهار لباساً ويلبس في آخره اللباس الآخر.

ومن ذلك أن مفتي إقليم السنجق الشيخ معمر زوروفينش وهو شخصية علمية إسلامية مرموقة استقبلنا في مكتبه مرة وعليه اللباس الرسمي الذي هو جبة وفوق الرأس عمامة خفيفة وفي المرة الثانية استقبلنا وعليه اللباس المسمى بالإفرنجي كاملاً مع رباط العنق.

الوضع الإسلامي:

تكلم رئيس الأئمة هنا الذي هو بمثابة رئيس المسلمين وهو الشيخ رجب ليكا فقال: منذ مائة وعشين سنة لا يوجد في هذه المنطقة حكم إسلامي أي منذ أن انسحب الأتراك منها، ولكننا نحن أحرار في مساجدنا وفي ثقافتنا الإسلامية.

أما الحالة الاقتصادية فإنها سيئة على الجميع من مسلمين وغير مسلمين بسبب الحروب التي شنتها الحكومة الصربية أو شُنَت ضدها.

وقال: وأهم ما نحتاج إليه هنا مدرسة إسلامية تدرس فيها العلوم الإسلامية مع العلوم الأخرى، وقد سألته عن السبب في وجود المسلمين بكثافة في هذه المنطقة فذكر أن ذلك بسبب قربهم من ألبانيا، و قال: لا تبعد البحيرة الرئيسية في ألبانيا عنا وهي بحيرة (اشكودرا) إلا بأربعين كيلومتراً، ولذلك كثر المسلمون.

وذكر أن المسلمين في المدينة عددهم ٢٦ ألفاً ويساكنهم فيها من غير المسلمين من الصرب أوثوذكس وألبان من الكاثوليك.

ثم قال: أنتم أول وفد رسمي إسلامي يأتي إلينا.

وسألته وإخوانه من أئمة المساجد والمهتمين بالعمل الإسلامي يسمعون عما إذا كان يوجد مسلمون جدد يدخلون في الإسلام، فذكر أن ذلك لا يوجد إلاَّ على نطاق ضيق لا يستحق الذكر.

قال: ولكن المسلمين يزدادون بالولادات الجديدة، فهم أكثر نسلاً من غيرهم من أرباب الديانات الأخرى.

أما اللغة الشائعة فإنها الألبانية رغم وجودهم في جمهورية الجبل الأسود، ولكن لا توجد حزازات أو نزاعات بينهم وبين مواطنيهم من الصرب، حتى العاملون في الحكومة علاقتهم به جيدة.

ثم أفاضوا في الحديث وهو يترجم لنا بوساطة مترجمين اثنين فأجمعوا الرأي على أن أصل المسلمين إلى هذه المنطقة من البحر الأدرياتيكي، بل مدينة (أولسين) هذه هم المسلمون الصقليون الذين جاءوا إليها بسفنهم من البحر.

وذكروا أنهم اتخذوا المنطقة وطناً لهم، واستقروا فيها وكثر عدد المسلمين.

وأقول أنا مؤلف الكتاب: إن ذلك ربما كان بعد سقوط صقلية وتغلب النصارى على المسلمين فيها.

ثم قالوا جميعاً ومن لم يتكلم بذلك وافق من تكلم به: إن السفن المتحالفة الأوروبية أسقطتهم وقضت على سيادتهم وبالتالي ضعف أمر المسلمين فيها، إلا أنه لا تزال توجد بقايا منهم يعرف بأنهم من أنسال العرب الصقليين الذين كانوا أول من أدخل الإسلام إلى المنطقة حتى الآن.

أي إنه توجد الآن أسر ومجموعات من الأشخاص تطلق عليهم أسماء عربي مثل أسرة (حسين العربي) وأسرة (أحمد العربي).

والعهد التركي:

قالوا: وبعد تلك بكثير جاء الأتراك ونشروا الإسلام في المنطقة.

ثم عدوا إلى الحديث عن الصقليين فذكروا أنهم نشروا الإسلام في المنطقة، أي المنطقة الساحلية وما هو قريب منها، ولم يقتصروا على نشر الإسلام في مدينة (أولسين).

وذكروا أن من بقايا الآثار الإسلامية القديمة هنا مسجد اسمه (مسجد مارينات) أي البحريين وأنه هدم في عام ١٩٣١م.

جانب من مأدبة الغداء في أولسين مع أئمة المساجد

مسجد شبا شاق:

صعدنا إلى عرض الجبل الذي يكاد يطبق على مدينة (أولسين) ولكنه ليس عالياً إلا إذا أبعد عنها والمسجد في حي اسمه كرو بازار وهو نظيف، فصلينا فيه الظهر والعصر جمعاً، واسترحنا للحظات جلوساً على سجاد ثمين فرش به.

ولاحظت أن جميع اللوحات المعلقة فيه وفي ملحقاته هي باللغة العربية، وهذا دليل صغير ولكنه ذو معنى على ما اسبغ الله به علينا نحن العرب حين أنزل القرآن الكريم بلغتنا على نبينا نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم.

ومعنى اسم الحي: (كروبازار) أعلى البازار، والبازار هو سوق البيع والشراء.

وموقع الإدارة الدينية في ملحقات هذا المسجد.

إلي مسجد مارينات:

وهو المسجد القديم الذي هدم كما قالوا في عام ١٩٣١م، وظني أن هدمه كان قبل ذلك.

وذكروا أن سبب هدمه أنه واقع في قلب المدينة حيث البيع والشراء إضافة إلى التعصب الشيوعي فهدم ثم طمر ببقايا بيوت ونحوها حتى دفن كله وذهبت علامات وجوده.

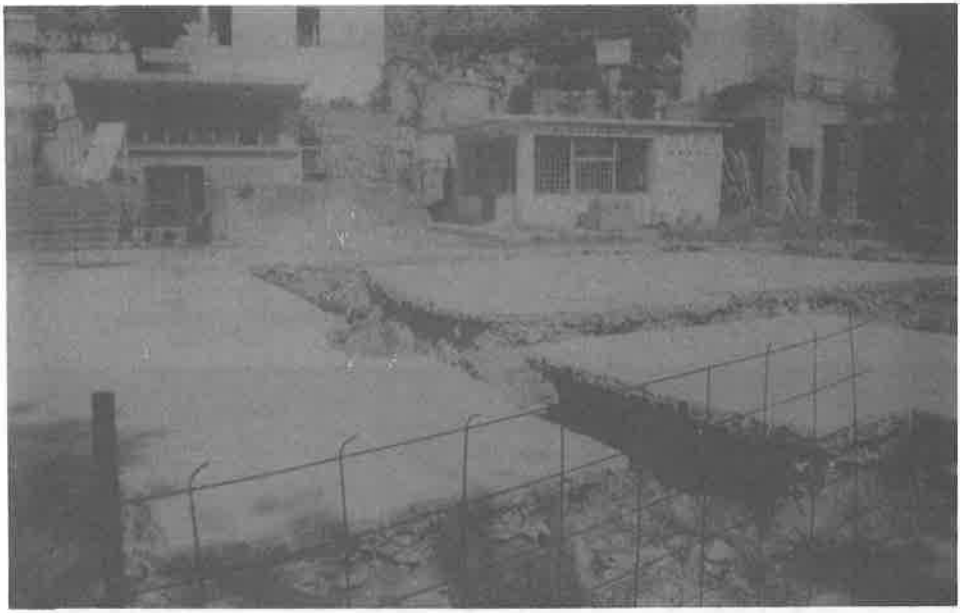

أرض المسجد التاريخي القديم في مدينة أولسين
في الجبل الأسود، وهي مطمورة في وسط ميدان

وجدنا المسجد قد نبشه المسلمون أي أزالوا ما على أرضه من طين وحجارة صغيرة، وفوق ذلك الزفت: زفت الشوارع حيث حصلوا من الحكومة على إذن بإعادة بنائه كما كان، ولديهم صورة له قبل هدمه أطلعونا عليه، وقد طمرت أرضه بما يرتفع أكثر من متر واحد من الطين ومخلفات البناء.

وقد نزلت إلى أساسه الذي يصعب على مثلي النزول إليه إلا بمساعدة من أحد الأشخاص ولكنني نزلت مدفوعاً بالفرح والسرور لقرب إعادة هذا المسجد القديم.

وقد جعلته البلدية موقفاً لسيارات الأجرة، والمراد جعلت مكانه وإلا فإنه قد محي أثره، وقالوا: لدينا المستندات الكاملة الكافية على أنه مسجد

هدم ظلماً وبغياً ولذلك نطالب بإعادته للمسلمين وقد أعيد إلينا بالفعل، والمراد- أيضاً- أنه أعيد موقعه ولكن موقعه قد طمر فحفروا في الزفت ثم في الطين والحجارة الصغيرة ووصلوا إلى أساساته.

وقد نوه رئيس الإدارة الدينية بأنه أول مسجد بني هنا وأن الذين بنوه هم المسلمون الصقليون.

في مكان المسجد القديم المطمور في أوليسين مع رئيس الأئمة

وقد دخلنا الإدارة الدينية في مقرها الملحق بالمسجد فوجدناها نظيفة، بل غاية في النظافة ذات أثاث راقٍ ثمين مع أنها قائمة على التبرعات من المسلمين، ولا تسهم الحكومة لها بشيء، وحتى بالنسبة

للمسلمين في الخارج لم يذكروا لنا أنهم تسلموا مساعدة من أحد، أما الرابطة التي جئنا منها فإننا نعلم أننا لم يسبق أن ساعدناهم بمساعدات مالية، والسبب أنهم لم يتقدموا بذلك، ونحن لم نقم بواجبنا في زياراتهم، وتفقد أحوالهم ومعرفة الجهات التي تحتاج إلى مساعدة لديهم.

شارع اسكندر بيك:

وقفنا في شارع يسمونه شارع (اسكندر بيك) ذكروا أنه شخص متميز ألباني.

وهذا الشارع يعتبر قلب المدينة لأنه في وسطها السهل أي غير الجبلي، وتبين أن المدينة نظيفة جميلة وموقعها جميل على شاطئ البحر الذي تنهض منه تلال خضر بعدها جبال متطامنة، ثم جبال أعلى منها.

ولكن المدينة ليست فخمة، فليست بذات أبنية عالية الطوابق، ولا بذات شوارع واسعة، أما السيارات فإنها موجودة فيها بمقادير لا بأس بها، بالنظر إلى حالة البلاد الاقتصادية.

ومما يذكر أنه رغم كون (الجبل الأسود) داخلاً في اتحاد سياسي مع صربيا فإنه أفضل اقتصاداً من صربيا بسبب السياحة، والصناعات الخفيفة وسياسة الحكومة التي هي أقل جموداً وتعصباً.

في ريف أولسين:

خرجنا من مدينة (أولسين) قاصدين مكاناً ذكروا أنه قريب وتبين أنه بعيد وذلك لرؤية مسجد حرص أهله على أن نراه حتى نقدم له

مساعدة، لأننا قدمنا لكل مسجد رأيناه مساعدة عاجلة رمزية ولكنها ذات أهمية عندهم.

ولو كنا عرفنا قبل أن نذهب إليه أنه بهذه المثابة من البعد لما ذهبنا إليه لأن لدينا برنامجاً حافلاً لبقية هذا اليوم ولغدٍ.

فاخترقنا ريفاً خصباً تعانق الأعشاب البرية فيه أشجاره، و لا يستطيع المرء أن يرى وجه الأرض فيه لأنه مغطى بالنبات الكثيف الذي يصح أن يسمى بالوحشي، لكونه لم يستنبت، وإنما نبت عفواً، فالأمطار في الصيف وافرة، وقد عجبت من كونهم لم يقطعوا هذه الأعشاب أعلافاً لماشيتهم، وقال المرافقون: إنها كثيرة، وليست كلها صالحة للماشية.

حتى وصلنا المسجد المنشود في قرية اسمها فلاديمير (أو) فنركولا، وقالوا لنا قولاً غريباً وهو أن هذه القرية مسماة باسم شخصين أحدهما بسنوي أي بشناقي وهو فلاديمير والثاني ألباني وهو فنركولا، ولا أرى صحة ذلك.

ويبعد موقعه عن حدود جمهورية ألبانيا ثلاثة كيلومترات فقط، ولذلك كثر فيها المسلمون.

ولمناسبة الحديث عن حدود ألبانيا وكثرة المسلمين هنا ذكروا أنه خرج من مدينة (أولسين) أربعمائة أسرة إلى ألبانيا عندما خرج منها الأتراك كرهاً منهم لأن يعيشوا تحت حكم أناس غير مسلمين.

مسجد فلاديمير أو فنركولا في جمهورية الجبل الأسود

وجدنا طائفة من المسلمين مجتمعين فيه ينتظرون قدومنا، وكلهم يتطلع إلى مساعدة وعون رابطة العالم الإسلامي على إكمال بناء مرافق المسجد ولم نخيب ظنهم، بل أعطيناهم للمسجد مساعدة مالية عاجلة.

ولم يكدر سرورنا به وبمنظر منارته الشامخة إلاَّ وجود قبور من قبور سائر المسلمين بقربه، ذكروا أنها ليست في قبلته، وأن أئمة المساجد يعرفون أن اتجاه المصلين إلى الجهة التي فيها قبور غير جائز، لذلك يجعلون قبورهم في جهة اليمين من المسجد وجهة اليسار وخلفه.

ولما لمتهم على بناء المسجد بالقرب من هذه القبور وقلت لهم: إنه كانت لكم مندوحة عن ذلك قالوا: إن هذا المسجد كان في مكان مسجد قديم صغير، وكان الناس يقبرون موتاهم بالقرب منه حتى يأنسوا بالأذان وبتلاوة القرآن، ويدعو لهم كل من يرى قبورهم من المصلين.

وقد ودعنا المسلمين في هذه القرية، بل وبما قرب منها لأنهم جاءوا من عدة مواضع غير بعيدة منها يتنازعنا السرور بوجود المسجد الجديد الذي قارب أن يكتمل مع الشعور بالأسف على قربه من القبور.

وقد سألت بعض عقلائهم بوساطة المترجم عما إذا كان يوجد أحد من الناس هنا يعتقد بالبركة أو النفع من هذه القبور فنفى ذلك، وقال: الأمر معتاد وليس له خلفيات غير مشروعة، وذلك عندما أخبرته بأن ذلك غير شرعي.

قرية كروته:

سرنا مع ريف لم يختلف عما قبله من حيث الخصب ووفرة الأعشاب، وكثرت فيه أشجار الفاكهة المثمرة حتى وصلنا قرية اسمها (كروته) فيها مسجد ذو منارة بيضاء شامخة كالعادة في العناية بالمآذن هنا وحرص الناس على أن تكون المأذنة مرتفعة، بل شاهقة ترى من مسافات بعيدة وتكون بيضاء نظيفة معتنى بها من حيث الترميم والتعهد.

ولا أذكر أنني رأيت منارة مسجد من المساجد، بل ولا مرفقاً لمسجد من المساجد ليس معتنى به، بحيث يكون محتاجاً إلى ترميم أو طلاء، أو تزيين لمظهره.

ومن الأشياء المميزة في مسجد قرية (كروته) هذه أن في فناء مسجدها أشجاراً من أشجار الزيتون المبارك، فقلت بهذه المناسبة للإخوة المرافقين ومنها نائب رئيس الإدارة الدينية لجمهورية الجبل الأسود الأخ (بيرم....): إن شجرة الزيتون ورد ذكرها في القرآن الكريم ووصفت بأنها شجرة مباركة، وقد أثبت الطب الحديث لزيتها فوائد عظيمة لم تكتشف إلاَّ في الزمن الحديث، فلماذا لا تقومون بحملة بغرس أشجار من أشجار الزيتون في حدائق المساجد أو بقربها، كما كانا نحن نغرس النخل بالقرب من المساجد القديمة نجعلها تشرب من فضلات وضوء المتوضئين، ويستفيد المؤذن أو إمام المسجد أو كلاهما من تمرها وقد انقطعت هذه العادة الحميدة من المساجد الحديثة أو كادت.

ثم غادرناها عجلين بعد أن التقطت صورة تذكارية مع منارة مسجدها، ورأينا في الطريق مسجداً ذا منارة ناصعة البياض، مشرفة على ما حولها ترى من نحو عشرة كيلات من كل جهة من جهاتها.

وذلك لكونها في أرض خضراء بل كثيفة الخضرة، ويقع المسجد في عرض جبل مرتفع لذلك يرى واضحاً من مسافات بعيدة كما قدمت، وليس بجانب المسجد بيوت، ولكن في لحف الجبل الذي هو فيه، أي في أسفله قرى ومساكن، وقد حرص المسلمون على بناء المسجد في هذا المكان البارز لكي يراه كل من يأتي إلى المنطقة أو يمر بها.

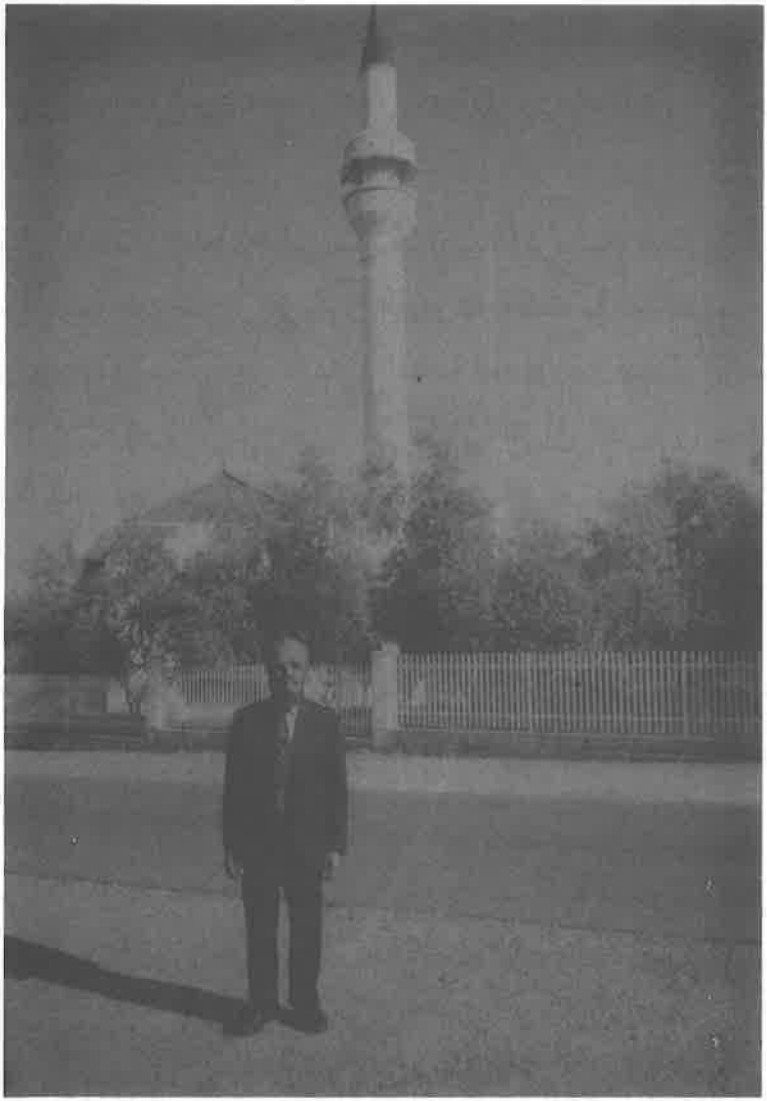

المؤلف أمام مسجد قرية كروته الذي تحيط به أشجار الزيتون

والمسجد مكتمل لذلك لم نذهب إليه.

ثم واصلنا السير مع طريق تكاد تغلقه الأعشاب المرتفعة الخضر.

العودة إلي دوبرى فودا و(بار):

عدنا إلى مدينة (دوبرى فودا) التي معنى اسمها: الماء الطيب، وأطيب من ذلك كون نصف سكانها من المسلمين.

ولم نلبث طويلاً في (دوبرى فودا) وإنما واصلنا سيرنا غير البعيد إلى مدينة (بار) القديمة فوقفنا عند مقر الإدارة الدينية وتعتبر فرعاً من الإدارة الدينية العامة في البلاد، وتعتني بالمساجد والأمور الدينية في العادة بقدر ما تسمح إمكاناتهم، وهم مجتهدون، ويبذلون جهوداً جيدة في هذا الموضوع، مع ضعف الإمكانات المالية.

وقد آنستنا في مدينة (بار) القديمة لافتة عربية تقول (الطائفة الإسلامية في بار) وتحت هذه العبارة معناها بالإنكليزية.

وجدنا جمعاً من كبار المسلمين في المنطقة في مقر الطائفة الإسلامية هذا، فعقدنا معهم جلسة مهمة اشترك فيها منهم نحو ١٥ رجلاً ومنهم رجل كريم ذكروا أنه تبرع للمسجد تبرعاً سخياً ذكروا أنه أكبر تبرع قدمه شخص واحد بمفرده واسمه أكرم بن صابر.

مسجد كاني فيجا:

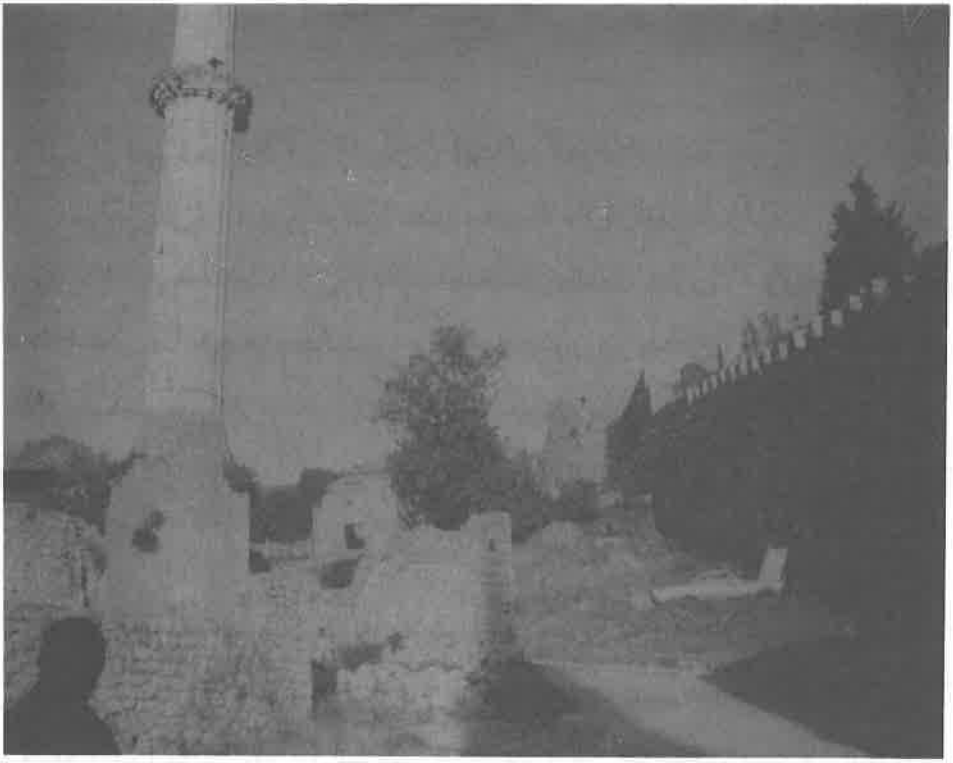

المسجد القديم الذي كسرت منارته بجانب القلعة التركية القديمة في بلدة (بار)

صعدنا إلى أقدام جبلٍ عالٍ حيث يوجد مسجد قديم اسمه (كاني فيجا) هدمه الحلفاء في الحرب العالمية الثانية عن غير قصد، وإنما رآه الطيارون مبنى قوياً، ولم تكن الاستخبارات والخرائط الحربية في ذلك الزما كما هي عليه الآن.

وأخبرونا أن أخاً مسلماً من هذه البلاد يعيش في شيكاغو بأمريكا اسمه (زنيل شابو فيتش) قد تبرع بعشرين الف يورو لعمارة منارة المسجد خاصة.

والمسجد بجانب قلعة تركية حصينة وهي قديمة من أوائل الأبنية التي أقامه الأتراك عندما استولوا على هذه المنطقة.

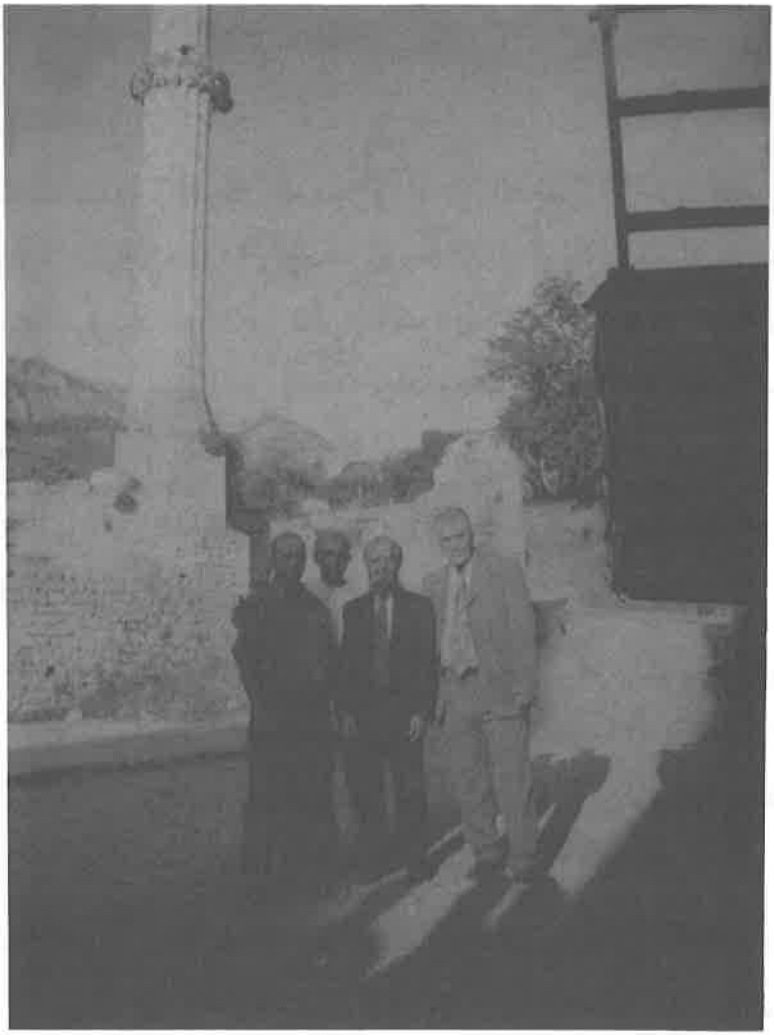

المؤلف مع بعض الإخوة المسلمين قرب منارة المسجد المكسورة في بلدة (بار)

ومنارته مكسورة لا تزال بعد أن أصابتها نيران الحلفاء كما تقدم لم تعمر أو تعد إلى ما كانت عليه من قبل.

والقلعة واسعة جداً، لأنها قصد منها أن تكون قلعة حصينة، وقصد منها أيضاً أن تكون مقراً لكبار رجال الإدارة التركية هنا، ولذلك ذكروا أنه كان يوجد في داخلها أربعة مساجد كلها هدمت.

المركز العظيم:

وكدت اسميه (المركز المعجزة) إذْ من المعجز أن يقوم أناس مثلهم ذووا موارد مالية محدودة وليست لهم صلات قوية بالمسلمين القادرين على منح المساعدات الكبيرة أن يقوموا ببناء هذا المركز العظيم، ولم يكملوا بناءه وإنما انتهوا من بعضه وهذا- بحد ذاته- عجب من العجب أن تسمو هممهم إليه.

فقد انتهوا من بناء قاعة محاضرات واسعة قوية وصبوا سقفها وسيكون فوقها وفوق غيرها المصلى الكبير أو المسجد الكبير كما أسموه.

والأرض هنا غالية لأنها في مدينة (بار) المهمة، ولكنهم ذكروا أنهم حصلوا على الأرض من مالكها وهي المحسنة الكبيرة (فاطمة بنت عمر باشا) من أهل المنطقة وقد أوقفتها لله على المسلمين وسجلت ذلك في الدوائر الحكومية، وتبلغ مساحة تلك الأرض ثمانية آلاف متر مربع.

وتلك الأرض مطمئنة ليست فيها انخفاضات ولا ارتفاعات، بخلاف معظم أراضي المدينة كالبلدة التي ترتفع شوارعها وتنخفض وكأرض القلعة.

وقد أنجزوا جزءاً منه ولكن الذي بقي عليهم إنجازه أكثر من ذلك بكثير، ولذلك لابد من أن نبذل جهداً كبيراً عند الذين يمكنهم المساعدة على تكملته مثل (البنك الإسلامي للتنمية) وسوف نفعل ذلك إن شاء الله تعالى.

أمام مبنى قاعة المحاضرات من مباني المركز الإسلامي العظيمة في مدينة (بار)

وقد أسموا المكان المركز الإسلامي لأنه يشتمل على قاعة محاضرات ومسجد كبير ومكتبة ويريدون أن يبنوا بجانبه مدرسة إسلامية أيضاً.

وقد ذكروا أن هذا المركز إذا ما تم سوف يستفيد منه مسلمون كثير من أهل المدينة التي نوهوا بأنها مدينة نامية إلى الجهات غير البعيدة منها التي فيها كلها مسلمون.

وذكروا أن المدينة يقدم عليها أناس كثير من أهل المنطقة وللسكن فيها.

وقد طلبت منهم أن يقدموا طلبات مكتوبة بما يحتاجونه من مساعدة لهذا المشروع وغيره مما تستطيع الرابطة أن تعمله لهم.

ومما سرنا أن أخبرونا أن المسلمين يقومون بأكثر الأشياء في هذا المركز وغيره بأنفسهم فمنهم المهندسون والمحاسبون والاقتصاديون.

وقدمت إليهم مبلغاً رمزياً لا يستحق الذكر من رابطة العالم الإسلامي ولكنه رمزي وعاجل، وأثنيت على جهودهم، وشكرتهم وطلبت أن يحضروا كل من بذل جهداً في هذا المشروع فشجعناهم وشكرناهم ودعونا لهم والتقطنا معهم صوراً تذكارية، مما كان له أثر طيب في نفوسهم.

ونحن كنا في غاية السرور لرؤية هذا العمل العظيم الذي قام به إخواننا الصابرون المصابرون بل المجاهدون، أثابهم الله.

ولذا أسميت هذا اليوم يوماً من أيام الله ولله الحمد.

ثم عدنا إلى مقر الطائفة الإسلامية في بلدة (بار) لاستكمال البحث والكتابة عما ذكرته والبيت الذي فيه مقر الطائفة المسلمة هو ملك لهم أي للطائفة، والمراد الجمعية الإسلامية، وإن لم يكن هذا اسمها الرسمي.

ثم أحضروا الشاي والمشروبات تقدمه فرَّاشة- بتشديد الراء- مسلمة متسترة مع جمال ظاهر.

في مقر الجماعة المسلمة في مدينة (بار)

المساجد في بار:

أثناء الحديث معهم عن الشئون الإسلامية أخبرونا أن في مدينة (بار) أربعة مساجد، ولكن المناطق والقرى التابعة لها إدارياً فيها مساجد أيضاً.

ثم ودعنا هؤلاء الإخوة الكرام وفارقنا (بار) القديمة ولم تفارقنا (بار) الجديدة بمنازلها المنثورة على سفوح الجبال الخضر.

وكانت مغادرة (بار) في الثامنة إلا الثلث قبل الغروب قاصدين العاصمة (بودقوريسا)، ونوه المرافقون ومنهم نائب المفتي الأخ (بيرم اغيتش) بأن حكومة الجبل الأسود لا تعترض على المشروبات الإسلامية، ولا تعرقلها، قالوا: وهذا في حد ذاته يعتبر مساعدة للمسلمين، بعدما كان إخوانهم المسلمون قد لاقوا من العنت والمشقة في صربيا ما لاقوا.

وذكروا أنه حضر حفل افتتاح المدرسة الإسلامية بالقرب من العاصمة (بودقوريسا) وسبق ذكرها كبار القوم من غير المسلمين من رجال الدولة وغيرهم.

وعلى وجه الإجمال فإن العلاقة ما بين المسلمين وبين حكومة البلاد هي جيدة.

ثم عدنا إلى فندقنا المريح في العاصمة (بودقوريسا) في الساعة العاشرة ليلاً.

يوم الجمعة ١٤٢٦/٤/١٩هـ:

مغادرة العاصمة:

في الساعة التاسعة صباحاً نزلنا إلى مكتب الاستقبال في الفندق فدفعنا له ما لدينا لهم من أجرة ليلتين ٣٢٠ دولاراً بالنسبة إليَّ وهو رخيص بالنسبة إلى جودة مستواه وإلى الخدمة فيه، ومعاملة أهله الممتازة، ولم يكونوا طلبوا منا دفع شيء من الأجرة مقدماً، و ربما كان ذلك لأن الحجز لنا كان بوساطة الإدارة الدينية في (بودقوريسا).

ثم ذهبنا للإدارة الدينية لجمهورية الجبل الأسود، فدفعنا مساعدة مالية لمسجدين في العاصمة، ورأينا في حر هذا اليوم من تبرج نسائها ما لم نره أمس.

ثم غادرنا العاصمة برفقة الأخوين الكريمين (بيرام إغيتش) نائب رئيس الجمعية الإسلامية، وهكذا كانوا يدعونه عندنا، وقال لي أحدهم: إنه نائب عن المفتي في غيابه والمفتي هو رئيس الإدارة الدينية، وإلا فإن وظيفته الأساسية هي (سكرتير الإدارة الدينية) وهو كفء لوظيفة نائب المفتي ولأعلى منها رتبة لأنه مثقف ثقافة راقية، ومتحمس لدينه الإسلامي حماسة ظاهرة.

ومن ذلك مثلاً أنه أهدى إلينا كتاباً كتبه باللغة البوسنوية عن المساجد في جمهورية الجبل الأسود يقع في أكثر من خمسمائة صفحة ولا يعيبه عندنا وهو عيب ليس فيه وإنما هي في كيفية الانتفاع به إلا كونه باللغة البوسنوية، وليس بالتركية أو الإنكليزية فضلاً عن العربية، لأنه من الصعوبة أن تجد عندنا من يستطيع أن يترجم لنا بعض ما فيه إلى العربية.

ولكن ظهر ما ترجمه لنا الأخ المرافق الثاني (جيمو) أنه كتاب علمي دقيق يذكر صورة المسجد ثم يتكلم على تاريخه، و من أنشأوه إلى أن يصل إلى ذكر من أم به ومن أذن فيه، والظروف التي اكتنفت إنشاءه والذين أسهموا في ذلك.

وهو كتاب مهم وجدير بغيره من أهل الأقليات المسلمة أن يكتبوا تاريخ تلك الأقليات وما يتعلق به من ذكر زعمائهم وعلمائهم والذين أسهموا منهم بالحركة الإسلامية، وبخاصة الذين أسهموا بتأييد الأقلية المسلمة في البلد، إضافة إلى تاريخ دخول الإسلام إلى ذلك البلد، وتاريخ المسلمين فيه، بمعنى ذكر ما جابه المسلمين من عقبات، وما اكتنف تاريخهم من عثرات وحجم الأقلية المسلمة وبيان الزيادة في أعدادها، لأن الأغلب الأعم في بلاد الأقليات المسلمة أنها تزيد بطريقتين زيادة بالولادة، لأن المسلمين في الغالب يولد لهم من الأطفال أكثر مما يولد لأهل الأكثريات التي يعيشون بينها، وإن كانت لهذه القادة استثناءات مثل أهل الصين غير المسلمين الذين يحرصون على زيادة النسل، ومع ذلك نجد أن المسلمين هناك أي في الصين يزيدون بنسبة أكثر من غيرهم لأن الحكومة الصينية قد حددت النسل بطفل واحد وحيد- على حد تعبيرهم- لكل أسرة لا يستثنى من ذلك إلا الأقليات الدينية، أو العنصرية في البلاد حيث يسمح للأسرة منهم بأن يكون لها طفلان.

والزيادة الثانية المعتادة للمسلمين في بلاد الأقليات المسلمة هي الزيادة عن طريق الدخول في الإسلام من أفراد الأكثريات التي يعيش بينها المسلمون، ولكن هذا هو الأغلب غير أنه ليس الواقع العام.

ففي حالة هذه البلاد قل أن يسلم أحد من أهلها غير المسلمين، وإن كان هذا قد حدث على نطاق ضيق، ذلك لكون المستوى الثقافي والاقتصادي للمسلمين ليس أرقى من المستوى لدى الآخرين.

ولشيء مهم آخر وهو أن الدعوة إلى الإسلام التي ينبغي أن توجه من المسلمين لغيرهم من المواطنين غير المسلمين ضعيفة في هذه البلاد، بل تكاد تكون معدومة.

من حيث جئنا:

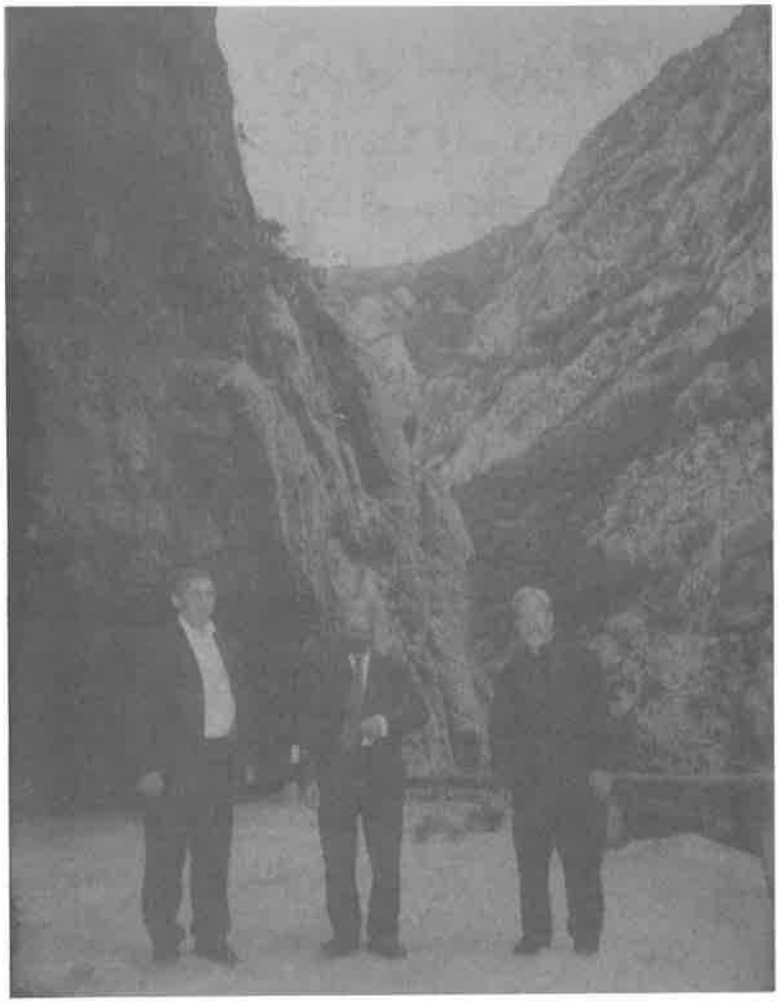

مع المرافقين الأستاذ رحمة الله والأستاذ (جيم: جمال) داخل صخور الجبل الأسود العالية

في العاشرة والنصف كنا نغادر مدية (بودغوريسا) عاصمة جمهورية الجبل الأسود، عائدين من حيث جئنا إلى بلاد السنجق ولكنها الجزء من السنجق الواقع في جمهورية الجبل الأسود وليس الواقع في صربيا.

وهذا الطريق هو الوحيد الذي لا طريق غيره إلى تلك الجهة التي تقع إلى جهة الشرق من البلاد.

نظراً لوعورة الجبال والجبل فيها المسمى بالجبل الأسود.

كان عبُ رحلتنا من حيث الانتقال والحركة واقعاً على عاتق أخينا المجاهد الصابر (بيرم اغيتش) وأما العبء الشفهي المتعلق بالكلام فإنه على لسان أخينا الثاني المعروف بجيمو الذي يتكلم العربية بفصاحة، بل ببلاغة، لأن لديه محبة باللغة العربية وآدابها، ولذلك يعرف من مجازات العربية واستعاراتها الكثير رغم كون مجرد التكلم بالعربية هنا قليل ونادر.

وقد تعلم مبادئ العربية في بلاد السنجق قبل أن يسافر إلى مصر ويتعلم هناك، وكنت أقول له صادقاً على طريق الامتنان منه والشكر له: إنك يا شيخ (جيمو) قد أصبحت لساننا الناطق وسمعنا اللاقط، فكل ما نتكلم به ونريد أن نسمع الجواب عنه أو التعليق عليه يمر بك مرتين إحداهما من العربية إلى البوسنوية والثانية من البوسنوية إلى العربية.

ومع ذلك هو لا يمل ولا يكل ولا يشكو ولا يتضجر لأننا نراه يبتدئنا بالكلام، يبدأ إذا لم نبدأه به فجزاه الله خيراً.

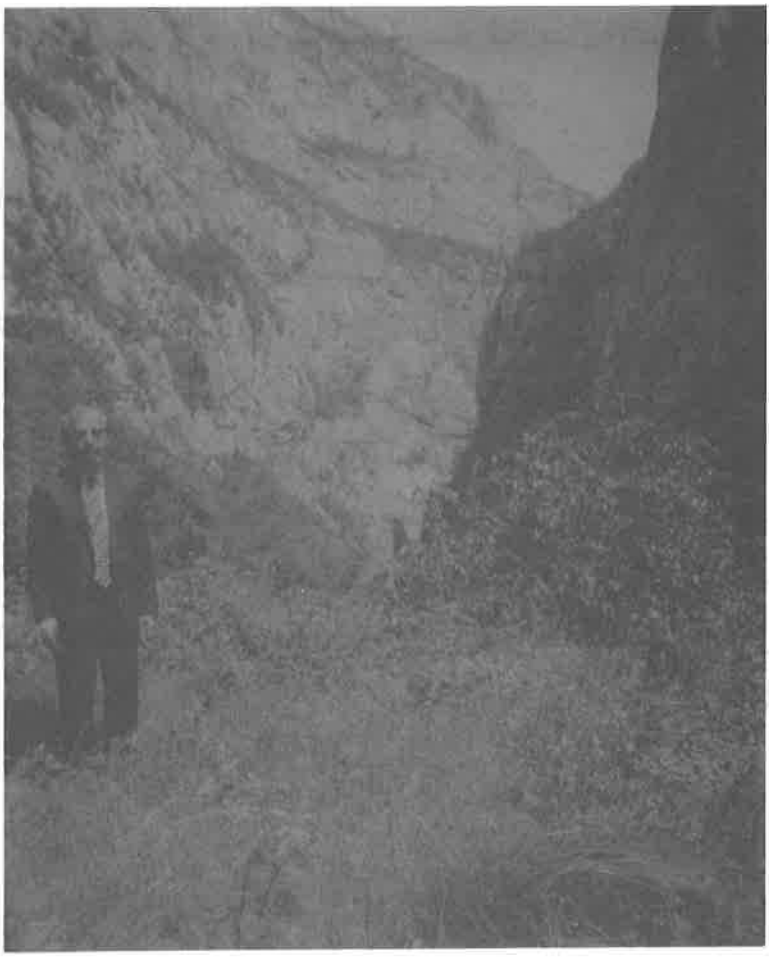

المؤلف بين صخور الجبل الأسود

والمقرر أن نذهب اليوم عائدين إلى شرق جمهورية الجبل الأسود حيث نلتقي بالمسلمين من أهل (روزايا) مرة أخرى فنجتمع بهم ثم بعد ذلك نركب معهم أو يصحبونا إلى حدود إقليم كوسوفا المسلم حيث يسلموننا إلى إخواننا من أهله داخل حدوده، وبذلك نودعهم، وتنتهي مسئوليتهم عنا وهي مسئولية قاموا بها خير قيام، ولم يتركوا لنا شيئاً نريد أن نراه أو أن نقوم به إلاَّ فعلوه تيسيراً لنا، واستجابة لطلباتنا، ونحن

إنما نطلب في كل الأحوال ما يتعلق بمعرفة حال الإسلام والمسلمين وكيفية مساعدة المسلمين على ذلك في هذه البلاد.

الجبل الأسود الوعر:

بدأنا السير مع الطريق العجيب في هذا الجبل الوعر، ونحن الآن في حالة صعود إليه، بعد أن كنا في حالة هبوط عند المجيء ولم ينقض عجبنا من وعورته ومن شيء آخر ذكرته سابقاً وهو لون حجارته الواقفة السوداء التي هي ليست من حجارة الحرة البركانية التي نعرفها في بلادنا التي تكون عندنا منثورة منشورة على وجه الأرض بل هذه الجبال عالية واقفة سوداء الحجارة وبها سميت هذه الدولة بجمهورية الجبل الأسود كما تقدم، وتبعد مدينة (روزايا) التي نقصدها الآن ١٨١ كيلومتراً من العاصمة (بودغوريسا) وكلما أمعنا صعوداً في الجبل خف الحر ثم زال فصار الجو بديعاً لطيف الهواء.

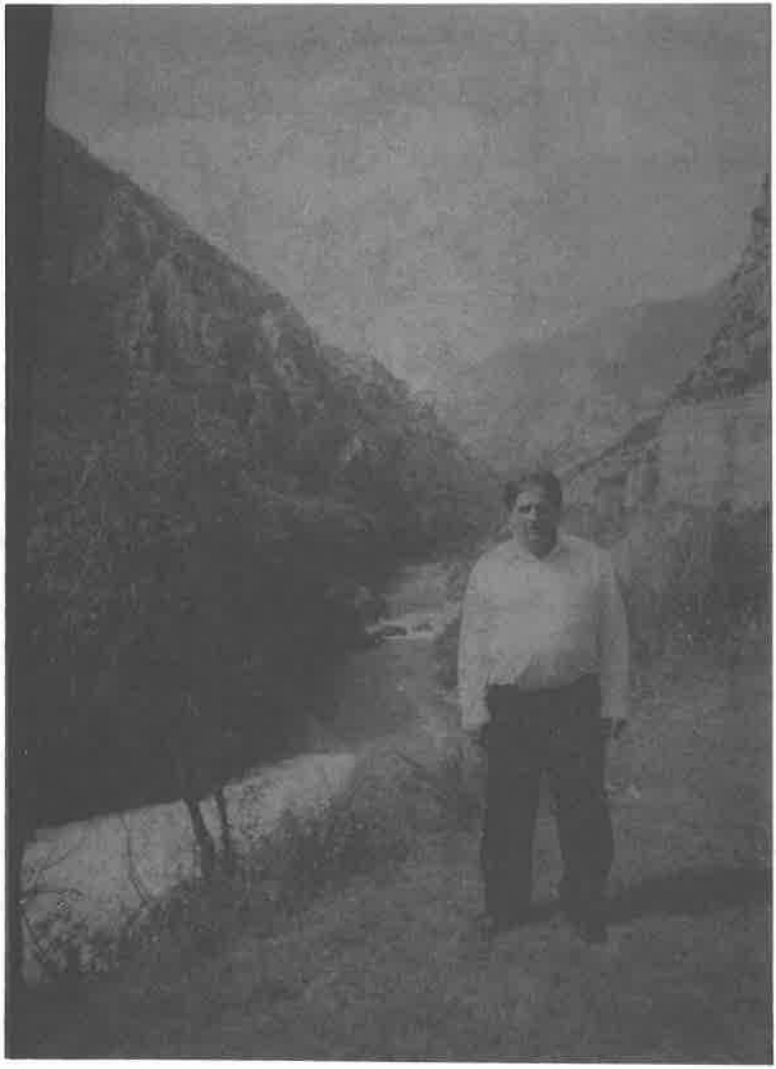

الأخ بيرم نائب رئيس المشيخة الإسلامية في الجبل الأسود في النهر في القاع

نهر مورتشا:

هذا هو النهر الذي ذكرنا أننا وقفنا في الجبل المرتفع فرأيناه يجري تحتنا لا يكاد المرء يبصره لأنه في وادٍ سحيق ضيق بين قمم جبلية عالية.

وقد كان واسعاً ظاهرياً في العاصمة ولكننا كلما أمعنا في الجبل ورأيناه منها انخفض مجراه، وقلت مياهه في نظر العين أو في الحقيقة مع أنه ليس موجوداً في كل الطريق مبارياً له، وإنما يوجد مجراه في كثير من الأحيان أسفل من الطريق.

لقد ذكرت وأنا أراه وصفاً لأحد علماء المسلمين لنهر أو ماءٍ في منخفض في مدينة قسنطينة في الجزائر وكنت زرتها في عام ١٣٩٠هـ أي منذ ٣٦ سنة فرأيت فيها منخفضاً عميقاً فيه ماء لا يكاد المرء يراه من انخفاض مكانه ويقول ذلك الوصف: إن المرء يبصر ذلك الماء في قاع الوادي السحيق كما يبصر الكوكب الدريَّ في السماء، يريد أنه لامع لأن ضوء الشمس ينعكس عليه، ولكن الرؤية منعكسة فالكوكب الدُّرّيّ أي المضيء في السماء وهذا الماء في الأرض.

متسع فيوتا:

تقل الأماكن المتسعة في هذا الطريق الوعر إلا عندما يكون قريباً من العاصمة وهذا متسع يقال له (فيوتا) يقع على الطريق مررنا به عند المجيء إلى العاصمة ولم نقف فيه.

فوقفنا فيه هذا اليوم والتقطنا صورة تذكارية.

ويبعد عن العاصمة ١٤ كيلومتراً فقط ولكنه في عرض الجبل لأن ارتفاع الجبل يبدأ بالقرب من العاصمة.

وواصلنا السير، وواصلت الجبال ارتفاعها في نظر العين من جانبي الطريق.

والطريق مبني جانبه غير الملاصق للجبل وهو الذي يشرف على أماكن منخفضة بالحجارة القوية.

رحمة الله عند ضفة النهر في جبل الجبل الأسود

ومررنا على بعد عشرين كيلو من العاصمة بمكان يسمونه (كريتن) فوقفنا عند نفق في الجبل يدخل منه الطريق وحجارته سوداء، وعلى أقدام الجبل والأماكن غير الملساء من جانبه أشجار برية قصيرة لم أعرفها، و لا أذكر أنني رأيت لها مثيلاً في بلادنا، وربما كان ذلك لأنها في هذه البيئة الجبلية المختلفة عما عندنا.

وعدا عن اللون الأسود غير الفاحم لحجارة هذا الجبل فإن جوانبه الواقفة كالحيطان لا تشبهها إلا أماكن في جبال الإنديز في أمريكا الجنوبية، وقد ذكرت ذلك في كتاب: (على قمم جبال الإنديز) وكتاب: (نظرة جديدة للجانب الأبعد من أمريكا الجنوبية) ومواضع من جبال الهملايا غير العالية وقد ذكرت أمر تلك الجبال في كتاب: (على سقف العالم) الذي خصصته للحديث عن بلاد التبت الواقعة في أقدام جبال الهملايا، بل هي واقعة في سهل متسع بينها.

وأهم الفروق بين هذه الجبال أو لنقل بين هذا الجبل وجبال الهملايا أن هذا الجبل ضيق المساحة، سريع الانقطاع، بخلاف جبال الهملايا الواسعة، وبخلاف جبال الإنديز الأوسع.

ولاحظت بعض القرويين في أطراف المدينة وفي غيرها من مناطق الجبل الأسود أنهم يبدون من حيث اللباس والنظافة فيه كأهل المدينة وليس عليهم قشف الطقس ولا خشونته، ولا شك في أن ذلك كان بسبب الجو وعدم الحر فيه.

ذكرت ذلك عندما مررنا بقوم منهم قليل هنا.

ومررنا بجسر فوق هاوية بين جبلين فصورته بعد أن تصورت خطورته، و قلت مازحاً للأخ (بيرم...) لماذا لم تبحث لنا عن غير هذا الطريق الخطر الذي لو لم يكن فيه إلا اجتياز هذا الجسر الخطر فضحك وهو يقول: لا غيره.

ودخلنا على نفق في عرض الجبل قد نمت فوقه الأشجار لأنه منقور في الجبل من أجل الطريق.

وقبل انتهاء الجبل الأسود نفسه تطامنت الجبال ولم تفارقنا الجبال العالية ذات الأردية الخضر الجميلة الأقل ارتفاعاً.

ورأينا أكثر من فرقة من العمال تصلح الطريق وتوسع ما يمكنها أن توسعه منه وإن لم تكن شاملة لكل الطريق.

مقبرة نصارى:

مررنا بمقبرة للنصارى شواهدها الحجرية أو هي الرخامية التي توضع على القبور هي سوداء الألوان ولا أدرى أذلك مقصود من كونها من الجبل الأسود، أم ذلك مصادفة، وأظن الأخير هو الصحيح، لأنني رأيت كثيراً من مقابر النصارى شواهدها سوداء وربما كان أهلها قد تعمدوا ذلك ليرمز إلى الحاود عندهم الذي يتميز باللباس الأسود.

ولاحظت أن بعضها عليه صلبان وبعضها ليس عليه شيء منها، وكنت عرفت من البلدان الشيوعية الأخرى أن الدفين الميت إذا كان على قبره صليب كان ذلك رمزاً على أنه ليس ملحداً، وأن الشيوعي الملتزم لا يكون على قبره صليب ويسمى هذا المكان: (بيولوبولين).

وقفة عند مدينة فيها مسلمون:

وقفنا عند بلدة ذكروا لنا اسمها الغريب وهو (رزقية) نسبة إلى مدرسة اسمها (مدرسة رزق الله).

استقبلنا فيها الأخ (عرفان حسن نوفيتش) ومعه رئيس الطائفة الإسلامية في البلدة الأخ (أحمد قاسيمو فيتش).

وإمام المسجد حسن، ونسيت بقية اسمه، وهو يتكلم العربية بغير فصاحة ذكروا أنه تعلم العربية في مصر، ولكنه لم يكمل دراسته في كلية الشريعة في الأزهر.

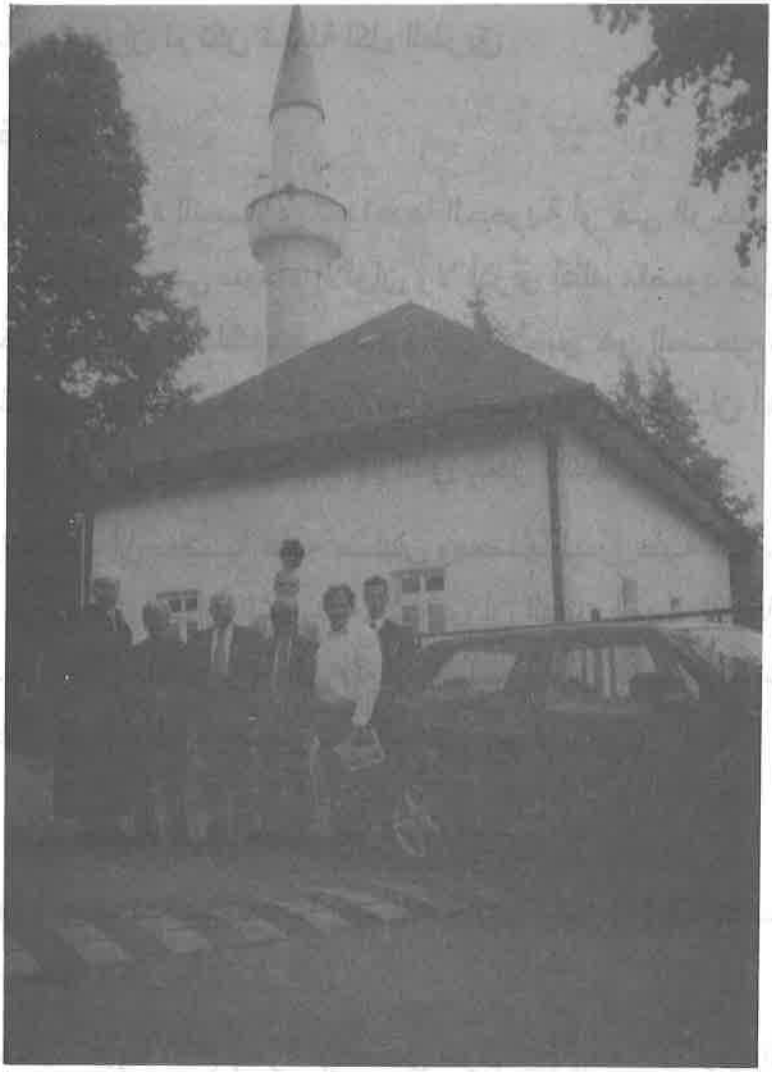

عند مسجد رزقية، المؤلف على يمينه رئيس الطائفة الإسلامية فيها وعلى يساره بيرم

ذكر الإخوة مجتمعين أن المسلمين في هذه البلدة تبلغ نسبتهم ٤٠% وكلهم من البوشناق وأن الصرب غير المسلمين فيها هم ٦٠%.

ويبلغ عدد سكان هذه البلدة سبعة آلاف نسمة، كما يبلغ عدد سكانها مع توابعها من المزارع والقرى الصغيرة ستين ألفاً.

جلسنا في مقر الجماعة الإسلامية وقد اجتمع علينا عدد من الإخوة المسلمين غير الذين ذكرتهم فقدموا شراب الخوخ وهو أكثر أنواع العصير من الفاكهة، لأن البرتقال لا يوجد عندهم لأنه لا يتحمل شدة البرد فيها، والخوخ كثير جداً، لأنه يكثر في البلدان الباردة، كما رأيت ذلك في شرق أوروبا، وعدد المساجد في البلدة وتوابعها ٨ أما في داخل المدينة فلا يوجد إلا المسجد الذي زرناه.

ومنطقتهم خصبة جداً، وهي رائعة الخضرة في هذا الفصل، والجو فيها جيد، لاسيما بعد حر السواحل التي كنا فيها أمس وهي سواحل البحر (الأدرياتيكي).

مسجد البلدة:

انتقلنا لرؤية مسجد المدينة ورأينا واليوم جمعة أن أعداداً كبيرة من المسلمين حسبت منهم ٣١ رجلاً جاءوا إلى المسجد لصلاة الجمعة ولكن الوقت كان مبكراً، فوقفوا أو جلسوا في رواق المسجد ولم يدخلوا إليه ذكر لنا المرافقون أن ذلك لكون الوقت لا يزال مبكراً على الصلاة.

فقلت لهم: إن هؤلاء الإخوة حضروا إلى المسجد تاركين أشغالهم إن كان لهم أشغال أو تاركين الجلوس في أماكن أخرى مفضلين عليها البقاء عند باب المسجد فيجب أن تخبروهم أنه ينبغي لهم أن يدخلوا إلى المسجد ويقرأ منهم من يستطيع قراءة القرآن من المصحف، أو يقرأ عليهم قارئ واحد مجيد.

وعلى أية حال فإنني لم أر مثل هذه الحالة من قبل.

دخلنا المسجد فوجدناه جيداً مبنياً على طراز تركي وعليه تاريخ بنائه في عام ١٧٤١م، ولم يعرف المسئولون عن الطائفة الإسلامية من بناه ولكنهم ذكروا أن الأغلب أن الذين بنوه هم العسكريون الأتراك الذين كانوا يحكمون هذه المنطقة، وذكر لنا الإمام أن عدد المصلين صلاة الجمعة يبلغ نحو ٢٠٠ مصلٍ وأقول: من الدليل على ذلك أنني رأيت هذه المجموعة من المسلمين التي حضرت إلى المسجد قبل حلول الوقت.

نحن مسافرون، ولدينا برنامج مرسوم، والمسافر لا تجب عليه صلاة الجمعة، لذلك لم ننتظر حلول وقت الصلاة لنصليها معهم.

وسألت الإمام وكبار المسلمين يسمعون عن عدد الذين يحضرون للصلاة في غير صلاة الجمعة؟ فأجاب بأن العدد يتراوح ما بين ٣٠ إلى ٥٠.

وقد دخلنا حمامات المسجد فألفيناها نظيفة جيدة معتنى بها من ناحية الترميم والإصلاح مثل سائر ما في المسجد.

أرض المسجد الجديد:

ذكر لنا الإخوة المسلمون أن هذا المسجد القديم لا يتسع للمسلمين في صلاتي العيدين وبلادهم باردة في الشتاء كما أنه يضيق أحياناً بهم يوم الجمعة، لذلك رأوا أن يبنوا مسجداً كبيراً في جانب من البلدة بعيد عن مكان المسجد القديم نوعاً ما فاشتروا الأرض جمعوا خمسين ألف يورو، وهي العملة التي يتعاملون بها الآن فيما بينهم، بخلاف شريكتهم في الاتحاد السياسي التي هي صربيا فإنها لا تزال تتعامل بالدينار.

انتقلنا معهم بالسيارة إلى أرض المسجد الجديد مخترقين البلدة النظيفة، بل الجميلة ذات البيوت المبنية من الآجر والأسمنت الحمر السقوف، وسط الخضرة البالغة، وقد صورت جانباً من هذه البيوت التي تحف بالمدينة من جهاتها ربى خضر.

على أرض المسجد الجديد في بلدة رزقية مع رئيس الطائفة الإسلامية وإمام مسجدها والأخ بيرم

ووقفنا على الأرض المعدة للمسجد فوجدناهم سووها للبناء، ووضعوا علامات على حدود ما سوف يبنى منها.

وكان معنا أحد الإخوة المسلمين فذكروا أنه هو الذي تبرع بالأرض هذه للمسجد وأن هذا مما شجعهم على بداية جمع المال اللازم لذلك حتى

تيسر لهم أن جمعوا خمسين ألف يورو، وهو مبلغ يعتبر كبيراً بالنسبة إلى دخول سائر الناس الضعيفة هنا.

وذكروا أنهم يحتاجون أيضاً إلى ٢٠٠ ألف يورو إذْ قدروا النفقة اللازمة مبدئياً لبناء المسجد بمائتين وخمسين ألف يورو.

وظني أنها تحتاج إلى أكثر من ذلك، ولكن المسجد يستحق أكثر من ذلك لجمال موقعه وكونه عنده مساكن عدد من المسلمين، ولكون حالة المسلمين في هذه البلدة جيدة.

وتقع المدينة على نهر (ليم) الذي سبق أن ذكرته عند الذهاب إلى (بودغوريسا).

ولكون أرض المسجد التي وهبها هذا الأخ المحسن الذي لم يكن بذي ثروة مالية مذكورة كما قال لنا الإخوة، وإنما كان يعمر الإيمان قلبه تقع هذه الأرض في موقع جيد من القسم الحديث الجيد من المدينة وهو قسم واسع الشوارع لا تضايقه الربى، رأينا طوائف من سكان المدينة من المارة، ولاحظنا أن النساء من أهلها رشيقات أنيقات، ولم ألاحظ عليهن عناية بالأصباغ والتزويق، وذلك أنهن استغنين عن ذلك بما وهب الله لهن من الجمال، وعلق على ذلك أحد المرافقين، فقال: (صبغة الله).

إلا أنني لاحظت أن كبيري السن فيهم من الرجال والنساء يبدو عليهم التعب، وقال لنا الإخوة المرافقون وبعض أهل البلدة: ربما كان ذلك بسبب الإكثار من أكل اللحم والدسم فبلادهم هذه خصبة ومواشي اللحم فيها رخيصة.

وتبرع أحدهم بمعلومة قائلاً: إن كبار السن من رجال ونساء لا تتعدى أعمارهم في العادة ما بين ستين إلى سبعين ولذلك يقل عندنا المسنون الذي يصلون إلى التسعين أو دونها بقليل.

وقد لاحظت قلة الشيوخ الكبار في السن وكذلك قلة العجائز اللائي في الشوارع، خلاف ما عليه الأمر في أوروبا الغربية حيث يكون ظهور هؤلاء المسنين من الرجال والنساء واضحاً.

هذا وقد نزل مطر زاد الجو بهجة ولطفاً، أما خضرة أرضها وأشجارها وأعشابها فإنها لا مزيد عليها.

وقفة في لوكفة:

ودعنا الإخوة الكرام من أهل (رزقية) وانطلقنا إلى (روزايا) ودعنا الإخوة الكرام من أهلها بعد ظهر هذا اليوم وما زالوا يتابعوننا بالهواتف الجوالة ما بينهم وبين الإخوين المرافقين بيرم المعروف بـ(جيمو)، فوقفنا عند بلدة ريفية اسمها (لوكفة)، وذلك بعد أن مررنا ببلدة ميرانيه التي تكلمت عليها في الذهاب إلى (يودغوريسا) وهي التي تقع على نهر (ليم) أيضاً، ولم نقف عندها اكتفاء بما رأيناه منها في السابق.

وتقع (لوكفة) في وادٍ جميل تحيط به ربى جبلية خضر، ولا تبعد عن (روزايا) إلاَّ باثني عشر كيلومتراً.

وطلب القوم أن نلتقط فيها صورة تذكارية، ولم نتلبث فيها بل استمر سيرنا فوقعنا بعدها في سهل أخضر.

الاستقبال في قرية راسادنيك :

قبل الوصول إلى مدينة(روزايا) بثلاثة كيلات وجدنا طائفة من الإخوة الكرام من أهل روزايا في استقبالنا بهذه القرية حيث كانوا هاتفوا مرافقينا بأنهم يخرجون الآن من صلاة الجمعة، وأنهم في طريقهم إلى لقائنا في قرية (راسا دنيك) التي تبعد ثلاثة كيلومترات عن (روزايا) على طريقنا.

وقد وصلوا بعد وصولنا إلى القرية، وتبين أنهم قد أعدوا برنامجاً لنا في هذه القرية يتضمن غداء فاخراً في مطعم راقٍ فيها لأنها قرية سياحية وهي جديرة بذلك، لأنها بمثابة الجنة الأرضية، إذْ تلفها الخضرة في أي اتجاه اتجه بصرك إليه سواء الربى الخضر والريف الأخضر والبساتين، وليس ذلك فحسب وإنما تكثر الزهور المختلفة الألوان والأحجام فيها من بيض وحمر ووردية.

وعندما رأيتها قلت: هذه من حقها أن يعتنى بها أكثر ومن القياس أن تستقبل زواراً وسياحاً أكثر، ولكن الأماكن الخضر الجيدة هنا كثيرة، بل هي الغالبة على البلاد، وهي في منطقة وسطى من البلاد فليست في منطقة سياحية مخصوصة يأتي إليها الناس من أماكن بعيدة.

والجو يميل للبرودة رغم كوننا في أول الصيف، وذلك في أعقاب ما شعرنا به من حر في العاصمة بودغوريسا القريبة من ساحل البحر (الأدرياتيكي) وكذلك السواحل الأخرى التي كنا فيها أمس.

ولما ذكرت ذلك للإخوة من أهل البلاد قالوا: العاصمة حرها ثقيل، يريدون بذلك أنه يصحب بركود في الهواء في بعض الأحيان.

وذكروا أن درجة الحرارة فيها تبلغ في أيام الصيف الحارة ٤٠ درجة مئوية مع الرطوبة لذلك يكون الشعور بالحر فيها بالغاً.

من الذين حضروا من الإخوة المسلمين إلى هذه القرية قرية (راسا دنيك): الأخ رامو كورتا فبتش رئيس الطائفة الإسلامية فيها والمراد رئيس المسلمين وكأنما هو بمثابة رئيس بلدة، لأن نسبة السكان المسلمين في (روزايا) تبلغ ٩٥% ونسبة المسلمين في قرى روزايا: ٦٠% وعمل الرئيس هذا هو تاجر.

والأخ عمرو داودفيتش طالب نشط في العمل مع الطائفة الإسلامية.

والشيخ (الدين بيبتش) إمام المسجد الكبير فيها.

والأخ (أرناد رامز فيتش) رئيس الأئمة في روزايا.

ومعهم غيرهم بحيث اجتمع على مائدة الغداء تسعة.

كانت المائدة في مطعم راقٍ من محل يشرف على وديان خضر بعدها ربى خضر بالغة الخضرة في جو جميل حقاً.

وكانت الجلسة للغداء ممتعة لنا أيضاً لأنها راحة بعد السفر في الجبل الأسود وحديث عذب من هؤلاء الإخوة المسلمين عن أوضاع إخواننا المسلمين في هذه المنطقة الجميلة من (جمهورية الجبل الأسود).

ومما يجدر ذكره هنا أن هذه المنطقة الجميلة معتبرة في السابق جزءاً لا يتجزأ من منطقة (السنجق) التي أهلها من المسلمين البوشناق، ولكنها أي هذه المنطقة ضمت إلى جمهورية الجبل الأسود عندما كانت جمهوريتا صربيا والجبل الأسود جزئين من الاتحاد اليوغسلافي الذي يعني اسمه (السلاف الجنوبيين) ويضم ست جمهوريات متمتعة بالحكم الذاتي وهي: جمهورية صربيا وجمهورية الجبل الأسود وكرواتيا وسلوفينيا وجمهورية البوسنة والهرسك.

وقد انفرط عقد يوغسلافيا ولم يبق من جمهورياتها إلاَّ صربيا والجبل الأسود التي تمسكت أول الأمر باسم (يوغسلافيا) القديم ثم تركته إلى اسم (اتحاد صربيا والجبل الأسود) وهو اتحاد فضفاض على وشك الانفراط[٢].

وتضمنت هذه الجلسة الممتعة في هذا الجو الجميل بل المفعم بالجمال مباحثات عن أحوال الإخوة المسلمين في المنطقة، وعن كيفية التعاون بينهم وبين رابطة العالم الإسلامي التي قدمنا منها.

وقد طلبوا منا أن نمدد إقامتنا في (روزايا) لكي نتنقل بين عدد من القرى التي فيها مساجد مما حولها.

فاعتذرنا إليهم بأن البرنامج الذي رسمناه للرحلة وأخبرنا به إخوتنا المسلمين في كوسوفا لا يسمح بذلك.

ولشيء آخر لم نخبرهم به وهو أن النقود التي كنا نحملها معنا وهي بطبيعتها ليست كثيرة تناسب أعداداً كبيرة من المساجد لا تكفي لإعطاء المساجد هنا منها إضافة إلى ما كنا خصصناه منها للمساجد في إقليم (كوسوفا).

كانت المأدبة حافلة إذْ كانوا أخبروا أهل المطعم بإعدادها قبل وقت كافٍ، وكن من ألز ما فيها لحم الغنم ذكروا أن من أغنام من منطقة لهم مشهورة بطيب طعم اللحم فيها، وكان للبطاطس نصيب وللسلطة الخضراء نصيب كبير لأن هذه البلاد التي لا توجد فيها الخضرات في الشتاء تجود فيها وتزدهر في الصيف إلى عصير الفاكهة من الخوخ ومعه المشروبات الغازية كالكوكاكولا.

---

(٢) وبعد ذلك أي بعد رحلتنا هذه استقلت جمهورية الجبل الأسود، فبقيت صربيا وحدها.

روزايا ثانية :

انتقلنا معهم بعد الانتهاء من هذه المأدبة والراحة إلى مدينة (روزايا) فذهبنا إلى مسجد فيها قريب من مقر رئاسة المساجد وبعضهم يسمي ذلك المكتب: إدارة الأوقاف وسمعت بعضهم يسميه إدارة أوقاف المساجد، وذلك أن المساجد كثيرة في (روزايا) ومنطقتها ولذا يوقف المسلمون عليها الأوقاف وتحتاج تلك الأوقاف إلى عناية ورعاية ، ويقع المسجد في حي (كوجا نسكا) في المدينة.

توضأنا في المسجد وصلينا مع مرافقينا فيه صلاتي الظهر والعصر جمعاً وقصراً، والمسجد في غاية النظافة والعناية به بالغة من حيث الفراش فهو مفروش بسجاد ثمين سميك لكي يقي المصلين شدة برودة الأرض في الشتاء.

وداخله مجمل بل ومزوق وفيه لافتات باللغة العربية.

وبعد الصلاة انتقلنا إلى رئاسة المساجد حيث دفعنا إليهم شيئاً من النقود لبعض المساجد التي رأينا أنها محتاجة للمساعدة سواء في القدوم إليها من السنجق أو في العودة هذه.

والبيوت التي في سفوح الجبال صعبة المرتقى ومنها مسجد بنوه في عرض الجبل ولابد لمن يأتي إليه أن يصعد في جزء من الطريق صعوداً مباشراً متعباً للمريض وللشيخ الكبير، ولكنها خصبة جداً تحيط بها الغابات الكثيفة في الأماكن التي لم يقطعوا الغابات منها.

مغادرة روزايا :

غادرنا مدينة (روزايا) في الساعة الرابعة بعد الظهر والمطر ينزل خفيفاً مثلما كان عليه الأمر عندما كنا نتجول فيها في أول قدومنا لها، إذْ كان المطر ينزل كما تقدم وإن كان يقف في بعض الأحيان.

ومغادرتنا (روزايا) هي إلى الحدود ما بين (جمهورية الجبل الأسود) وإقليم كوسوفا ومعنا سيارتان من أهل (روزايا) إضافة إلى السيارة الأساسية التي معنا في الأصل وهي السيارة التي يقودها الأخ الكريم (بيرام اغيتش) الذي هو كاسمه عيد لنا فكلمة بيرم باللغة التركية التي أخذت عنها الكلمة تعني (العيد) ذكر لنا أنه سمي بذلك لأنه ولد في يوم العيد.

صعد الطريق منطقة جبلية أعلى من المنطقة التي فيها مدينة روزايا ولكنها أكثر اتساعاً منها.

مررنا بقرية ألبانية أكثر ما فيها ظهور مسجدها بمنارته الشامخة التي ترى من مكان بعيد، ولا نزال في جمهورية الجبل الأسود، أما هذا الجبل الذي صعدنا فيه وفيه هذه القرية الألبانية المسلمة فاسمه (كولا).

وقد تكاثفت الغابات والأعشاب البرية المزهرة فهذا الفصل الصيفي عندهم هو بمثابة الربيع ليس من دفء الجو فيه فقط وإنما أيضاً من كون الأمطار تنزل في الصيف بغزارة بخلاف الشتاء فإن التي تنزل فيه هي الثلوج.

وكلما قربنا من الحدود بين جمهورية الجبل الأسود وإقليم كوسوفا زاد وجود الأشجار المسماة بالأسطوانية لكونها واقفة تبدو كالأساطين أو الأعمدة، كما تكاثفت أشجار الغابات، وقد أخبرونا أن هذه المنطقة من الحدود بين كوسوفا و(الجبل الأسود) ليس لجمهورية صربيا عليها سلطان، و ليس فيها لها أية سلطة.

أما جمهورية الجبل الأسود فإن علاقاتها مع إقليم كوسوفا تبدو معتادة، وليست عدائية كما عليه الحال ما بين كوسوفا وصربيا التي بلغت عداوة صربيا فيها للمسلمين الكوسوفيين مبلغاً من القسوة لم يعرف إلاَّ في القرون الوسطى.

وقد هبطنا قليلاً من جبل (كولا) ولكننا لم نلبث أن حسن طريقنا إلى جبل آخر فالمنطقة جبلية خصبة والسكان هنا قليل.

حدود جمهورية الجبل الأسود:

ولم نقل إنها حدودها مع إقليم كوسوفا لأن التي تليها بعد حدودها أرض اعتبرتها الأمم المتحدة التي تدير إقليم كوسوفا منطقة محايدة لم تقرر تبعيتها حتى الآن.

وقفنا عند حدود (جمهورية الجبل الأسود) ولعل القارئ الكريم يلاحظ أنني أكرر ذكر (جمهورية الجبل الأسود) ولا اقتصر على ذكر الجبل الأسود، وذلك أن الجبل الأسود جبل عظيم داخل تلك الجمهورية، وقد انقطع عنا وتجاوزناه، وإن كنا لم ننقطع عن بقية أراضي جمهورية الجبل الأسود التي ذكرتها.

كان معنا- كما قدمت- ثلاث سيارات فيها الإخوة من كبار المسلمين لذلك لم ننزل من السيارة إلاّ من أجل التقاط صورة تذكارية، فوجدت الهواء بارداً برد الربيع الندي، ولكن الشمس كانت لذيذة الوقع على الجسم يشبه ذلك وقع الشمس على الجسم في بلادنا في فصل الشتاء.

وقد تسلموا منا ورقة كان أهل بلغراد قد وضعوها مع جوازينا وتدل على مغادرة اتحاد صربيا والجبل الأسود.

المنطقة المحايدة :

خرجنا بذلك من جمهورية الجبل الأسود قاصدين إقليم كوسوفا ولكننا لم ندخل إليها حتى الآن لأننا صرنا نسير في منطقة محايدة لم تتقرر تبعيتها حتى الآن وهي منطقة جبلية خصبة وبخاصة لرعي الماشية، وربما كانت فيها معادن، وإلا فإن السكان فيها قليل.

وسرنا مع طريق أسفلتي معتاد لا يكاد المرء يرى فيه سيارات، ويساير هذا الطريق جبل عالٍ تركب أعاليه الثلوج التي تبدو كثيفة في الأرض مع أننا الآن في شهر مايو الذي يعتبر في بلادنا من فصل الصيف، وفي البلدان الشمالية كروسيا يسمونه عيد العمال الذي يقع في أوله (عيد الربيع) لأنه يؤذن بحلول الربيع.

وقد صادف أن شهدت حلول ذلك اليوم (الأول من مايو) في البلدان الشمالية فوجدته بارداً وليس ربيعياً ولكن برده يؤل إلى دفء الصيف.

ومن طريق التقليد الأعمى أن الشيوعيين في وقت طغيانهم في العراق أثناء حكم عبدالكريم قاسم كانوا يحتفلون بعيد العمال هذا على اعتبار أنه العيد الأول في السنة، عند الشيوعيين ويسمونه (عيد الربيع) تقليداً لأهل البلدان الشمالية مع أنه عندنا في العراق يقع في موسم الحر.

ورأيت غيمات بيضا في هذا الجبل الثالج وقد اختلط في نظر العين منظرها بمنظر الثلوج البيض عليه فذكرني ذلك بقول الشاعر:

رق الزجاج وراقت الخمر ... وتشاكلا فتشابه الأمر
فكأنما خمر ولا قَدَحُ ... وكأنما قدح ولا خمر

وهذه المنطقة خالية من القرى أو السكان المقيمين إلاَّ إذا كان ذلك في منطقة بعيدة من طريقنا.

ومر الطريق وهو يصعد في سفح الجبل العالي على قليل من الثلج في الأرض.

ثم وقفنا في هذه الأرض الخالية فوجدنا الهواء بارداً لأن وقوفنا كان عند أقدام الجبل الثالج واسمه (خيله).

ومازال إخواننا المرافقون معنا لا يريدون أن ينصرفوا حتى يسلمونا لإخواننا أهل كوسوفا مع مضيفينا من أهل الجبل الأسود، ولو كان الأمر لي، بل لو كنا عرفنا بالأمر من أوله لم نقبل أن يخرج إلينا أهل كوسوفا فيتعبوا في استقبالنا ولم نقبل أن يذهب معنا أهل الجبل الأسود فيتعبوا في توديعنا.

وقال الأخ (بيرم) ووجهه يطفح بالسرور: كله مسلمان: روزايا مسلمون وكوسوفا مسلمان! قلنا: الحمد لله.

واستمر خصب المنطقة النادر ولا أثر لكوسوفا أو أهلها هنا لأن المنطقة خالية من السكان كما قدمت.

وما يزال الطريق يتلوى نازلاً من منطقة الجبل الثالج وما حوله.

وعندما تأملت هذه المنطقة الخصبة الرائعة الخالية السكان قلت في نفسي: إن كوسوفا إقليم خصب مهم أضاعه الصرب بسبب تعصبهم وقسوتهم، بل ووحشيتهم التي يندي لها جبين الإنسانية كما شهد بذلك المحايدون من الأوروبيين وغيرهم.

ثم وجدنا الإخوة أهل كوسوفا على رأسهم رئيس الإدارة الدينية هناك المفتي الشيخ نعيم ترنافا فاستقبلنا أهل كوسوفا وودعنا أهل جمهورية الجبل الأسود.

الحديث عما تلا ذلك في كتاب: (قول أوفى في كوسوفا) ولله الحمد.

الإسلام والمسلمون في الجبل الأسود:

تقدم الكلام منثوراً غير مجموع عن (الإسلام والمسلمين في جمهورية الجبل الأسود) وأحببت أن أذكر هنا هذا الموضوع ملخصاً مأخوذاً من المعلومات المتوافرة لدى المسلمين من سكانها، وبخاصة في المشيخة الإسلامية المعروفة بالإدارة الدينية وهي فيها ليست مسجلة وإلا لكنا نقلناها بنصها ونوهنا بذلك ولكنها معلومات شفهية تناولوها وذكرها بعض علمائهم.

وقد ذكرت ذلك في اجتماع أئمة المساجد والمعنيين بشئون المسلمين في (الجبل الأسود) عندما اجتمعنا برئيس الأئمة وأئمة المساجد في مدينة (أولسين) على ساحل البحر الأدرياتيكي، وأول ما يفاجأ به المرء مثلي أن يعرف أن الإسلام جاء إلى هذه المنطقة من جهة الغرب لأن جهة الشرق هي جهة مجيء الفتوحات الإسلامية أو جهة مهاجر المسلمين الذين كان من الطبيعي أن يمتدوا منها إلى الجهات الأخرى الأبعد، إذْ أجمعوا على أن أول من أدخل الإسلام إلى هذه المنطقة هم الصقيليون – أهل جزيرة صقلية- وبعضهم نص على أن الذين أدخلوا الإسلام أو لنقل حملوه إلى هذه المنطقة هم العرب الصقليُّون.

وهم بلا شك عرب باللسان والثقافة وإن كان بعضهم عربياً بالأصل مثلهم في ذلك مثل أهل المغرب العربي من التوانسة والجزائريين والمغاربة.

ولكن لم يتضح لنا الزمن الذي دخل فيه الإسلام إلى هنا لأول مرة والمفهوم أن ذلك بعد سقوط جزيرة صقلية بيد الإفرنج الإيطاليين في عام ٤٥٣هـ.

ومن الطبيعي أن يفزع بعض أهلها الذين لا يطيقون أن يستولى عليها النصارى إلى خارجها فسافر بعضهم إلى جزر البحر الأبيض المتوسط، ويفترض أن من بين تلك الجزء جزيرة (مالطة) التي لا يزال

أهلها حتى الساعة يتكلمون العربية ولكنهم يسمونها اللغة المالطية ويكتبونها بحروف لاتينية.

ولذا نفترض أن بعضهم توجهوا شرقاً فوجدوا هذه الأرض على ساحل الأدرياتيكي خالية من حكم الحكومات القوية فاستوطنوها ونشروا الإسلام فيها.

ولذلك أجمع أهل هذه البلاد على أن المسلمين الصقليين جاءوا إليها بسفنهم واستوطنوها، وبقيت أسر منهم مسلمة أو تنتمي بالاسم إلى العرب والمسلمين حتى الآن.

والوفادة الثانية المهمة للإسلام والمسلمين كانت على أيدي الأتراك العثمانيين، وقد جاءوا إليها بالطريق الطبيعية من الشرق وحكموها واستوطنها بعضهم وأسلمت على أيديم طوائف من أهلها الأصلاء.

وقد وصلت مدة بقاء المسلمين هؤلاء فيها إلى خمسمائة سنة، وما يزال سكانها الأصلاء يبنون المساجد، ويحافظون على تعليم أبنائهم الدين الإسلامي.

وفي عام ٨٨٧م جاء الأوروبيون المتحدون بسفنهم وقواتهم إليها وكان ميزان القوى قد اختل حيث صار الأوروبيون يملكون القوة الحربية والمعرفة والمسلمون لا يملكون شيئاً من ذلك، فاحتلوا البلاد وأسسوا فيها حكومة غير مسلمة وضيقوا الخناق على المسلمين، فهاجرت طوائف وأسر كثيرة من المسلمين إلى مصر وتركيا والبوسنة وألبانيا هرباً من البقاء تحت حكم الأوروبيين الذين ضايقوهم وأذوهم واتخذوا خطتهم بإخلاء المنطقة من المسلمين، ولكن بطريق الترهيب والمضايقة.

ولذلك كان من أول ما عمله الأوروبيون أن أغلقوا المدارس الإسلامية، وحولوا بعض المساجد فيها إلى مخازن.

واستمرت مضايقاتهم حتى تغيرت نسبة المسلمين في مدنها فبعض المدن التي كان سكانها المسلمون ٩٠% صاروا أقلية فيها لكثرة من هاجر منهم إلى خارج المنطقة هرباً بدينهم، وبذلك صار النصارى أكثرية والمسلمون أقلية.

وذكروا أن الهجرة الكبيرة كانت في عام ١٩١٢م بعدما يعرف بحرب البلقان الثانية فقد هاجر المسلمون من هذه البلاد بأكثرية واضحة إلى تركيا، إذْ كان الصرب والنصارى المحليون ضايقوهم، وكانت روسيا تساعد بقوتها الحربية النصارى.

وحولت الحكومة المتعصبة المساجد إلى أشياء أخرى، وهدمت بعضها مثل المسجد القديم الموجود في مدينة (أولسن) المسمى بمسجد البحريين وكان موجوداً منذ مئات السنين ولكنه هدم في عام ١٩٢٣م، وقيل في عام ١٩٣١م وحكومتها تعامل المسلمين الآن معاملة طيبة، ولا يشتكون من شيء يتعلق بأمور دينهم، فهم أحرار في ممارسة شعائرهم وفي بناء مساجدهم، وقد رأيت في خلال الجولة أن مآذن المساجد ظاهرة أكثر من ظهور أبراج الكنائس مع أن النصارى أغلبية في البلاد، ولكنهم لم يكونوا يحرصون على رفع أبراج كنائسهم، ولا يبالون بذلك مثلما يحرص المسلمون على رفع المآذن، وجعلها شامخة في السماء، ومجموع سكان جمهورية الجبل الأسود الآن هو ٦٣٠ ألفاً، وهو عدد قليل من السكان بالنسبة إلى خصوبة الأرض وإلى رقعة البلاد.

ويؤلف المسلمون البشناق الذين هم أبناء عم البوسنيين أو هم منهم ١٧% من مجموع السكان، كما يؤلف المسلمون الألبان ٦% من مجموع السكان.

ومن المنتظر أن يصوت المسلمون إلى جانب انفصال جمهورية الجبل الأسود عن الاتحاد الصربي الذي يضم جمهوريتي صربيا وجمهورية الجبل الأسود، وذلك لما كان المسلمون قد عانوه من تعصب الصرب وقسوتهم ضدهم.

ولكن الإخوة المسلمين في جمهورية صربيا لا يريدون ذلك الانفصال لأنه يخفض نسبة المسلمين في الدولة الصربية إلى درجة تصبح نسبة المسلمين فيها أقلية أقل مما هي عليه الآن بكثير.

التوصيات:

١- تقديم مبلغ مائة ألف دولار للإسهام في بناء المركز الإسلامي في بار في الجبل الأسود ودعوة البنك الإسلامي للتنمية للمساعدة.

٢- تقديم مبلغ عشرين ألف دولار للمساعدة في استكمال بناء مسجد كوجانسكا في جمهورية الجبل الأسود.

٣- تقديم مبلغ عشرين ألف دولار للمساعدة في بناء مسجد أيبارجو في الجبل الأسود.

٤- تقديم مبلغ عشرين ألف دولار للمساعدة في بناء مسجد بلدة بيلوبوليه في الجبل الأسود.

٥- تقديم مبلغ مائة ألف دولار إلى المشيخة الإسلامية في الجبل الأسود لمساعدتها على نفقات الأئمة ومناشط العمل الإسلامي.

٦- تقديم مبلغ عشرة آلاف دولار لمسجد ستارودوغانيسكا في بودغوريسا في الجبل الأسود لإتمام الترميمات.

٧- تقديم مبلغ مائة ألف دولار للإسهام في إتمام بناء المركز الإسلامي في قرية ميلوش في بودغوريسا.

٨- تقديم مبلغ خمسين ألف دولار للمساعدة في بناء مسجد البحارة في بلدة في الجبل الأسود.

٩- تقديم مبلغ مائة ألف دولار للإسهام في بناء المركز الإسلامي في بلدة بار في الجبل الأسود، ودعوة البنك الإسلامي للمساعدة.

عناوين:

- الشيخ رفعت فيزيتش، رئيس المشيخة الإسلامية في الجبل الأسود.
- الشيخ بيرام اغوفيتش، سكرتير المشيخة الإسلامية.
- Meshihat Islamske Zajednice, Gojda Radonjica 42, Podgorica 81000, Montenegro- crnoj Gori,

www.islam-montenegro.org mesihatpg@cg.yu

الفاكس: ٠٠٣٨١٨١-٦٢٣٨١٢، المكتب: ٠٠٣٨١٨١٠٦٢٢٤٠٨، الجوال: ٠٠٣٨١٠٦٩٠٥٤٥٦٦

- الشيخ إدريس دميري، رئيس المشيخة الإسلامية السابق في الجبل الأسود، الجوال: ٠٠٣٨١-٦٧٢٢٢٨٣، المكتب: ٠٠٣٨١-٦٩٥٦٤٣٤٢، .
- الأستاذ جيمو جيماتوفيش، الإمام في مسجد عثمان اغفيتس في بودغوريسا، الجوال: ٠٠٣٨١-٦٩٥٦٤٣٤٢، .
- الشيخ رجب ليكا، رئيس الأئمة في أولجين.
- Rexhep Lika, Kryeimami I Bashkesise Islame, RR.N.Gjakonviq Nr.474, Uiqin, Crnoj Gori.
- الفاكس: ٠٠٣٨١٨٥-٤١٣٢٥٧، المكتب: ٠٠٣٨١٨١٥-٤١٣٢٥٨ أو ٤١٢٠٢٠، الجوال: ٠٠٣٨١-٦٩٢٨٨٥٨٠ .

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ٥
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات ١٤
المقدمة ١٩
تعريف وملخص الرحلة ٢٣
المشاهدات ٣٥
من صربيا إلى الجبل الأسود ٣٧
قرية باش ٣٨
مدينة روزايا ٤٠
حول روزايا ٤٣
من أهل نوفي بازار إلى أهل بودغوريسا ٤٦
في المركز الإسلامي ٤٧
مسجد السلطان مراد ا لثاني ٤٨
مسجد جبل بانجو ٥٠
السفر إلى عاصمة الجبل الأسود ٥١
مدينة بيرانه ٥٥
بلدة مريكوفاس ٦٠
الانحدار إلى العاصمة ٦٣
سواد الجبل الأسود ٦٤
النفق الأسود ٦٥
مواصلة الانحدار ٦٧
وقفة أخرى ٦٨

ثم أبصرنا العاصمة بودقوريسا ٧٠
صباح ما تحت الجبل ٧٤
الإدارة الدينية ٧٦
مسجد عثمان آدا ٧٩
المشروع الكبير ٨١
بني المسجد وحده ٨٥
مبنى المدرسة ٨٧
بلدة توزي ٨٩
إلى منطقة الساحل ٩١
بلدة قولوبوفيتش ٩٤
بحيرة اسكدر ٩٤
بلدة سوتو موره ٩٧
مدينة بار ٩٨
قرية دوبرافودا ٩٩
هذه أولسين ١٠١
في مدينة أولسين ١٠٣
الوضع الإسلامي ١٠٥
والعهد التركي ١٠٧
مسجد شبا شاق ١٠٨
إلى مسجد مارينات ١٠٨
شارع اسكندر بيك ١١١
في ريف أولسين ١١١
قرية كروته ١١٤
العودة إلى دوبرى فودا و(بار) ١١٧

مسجد كاني فيجا ١١٨
المركز العظيم ١٢٠
المساجد في بار ١٢٣
مغادرة العاصمة ١٢٥
من حيث جئنا ١٢٧
الجبل الأسود الوعر ١٣٠
نهر مورتشا ١٣١
متسع فيوتا ١٣٢
مقبرة النصارى ١٣٥
وقفة عند مدينة فيها مسلمون ١٣٥
مسجد البلدة ١٣٧
أرض المسجد الجديد ١٣٨
وقفة في لوكفة ١٤١
الاستقبال في قرية راسادنيك ١٤٢
روزايا ثانية ١٤٥
مغادرة روزايا ١٤٦
حدود جمهورية الجبل الأسود ١٤٧
المنطقة المحايدة ١٤٨
الإسلام والمسلمون في الجبل الأسود ١٥٠
التوصيات ١٥٤
عناوين ١٥٥
الفهرس ١٥٧

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون: ٢٣١٦٦٥٣ - فاكس: ٢٣١٦٨٦٦
E-mail: narjiscpp@yahoo.com

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

كتب مخطوطة في الرحلات للمؤلف

١- رحلات في البيت: رحلات داخل المملكة العربية السعودية.
٢- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.
٣- حديث المؤتمرات (الخارجية).
٤- جولة في جزائر المحيط الأطلسي.
٥- مؤتمرات إسلامية حضرتها.
٦- رحلة المسافات الطويلة.
٧- حول العالم في خط متعرج.
٨- الإشراف على أطراف من المشرق العربي.

الرحلات الإفريقية

٩- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.
١٠- العودة إلى غرب إفريقية.
١١- العودة إلى المغرب الأقصى، بين الصحراء والأرض الخضراء.

رحلات في القارة الأوروبية

١٢- التعليق على السفر إلى أقطار البلطيق.
١٣- من كوبنهاجن إلى كييف مروراً بباريس.
١٤- رحلة الشمال.
١٥- خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين.
١٦- زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين.
١٧- تجوال في بلاد البرتغال.
١٨- رحلة الأندلس.
١٩- زيارات خاطفة لمدن أوروبية مختلفة.
٢٠ - العودة إلى داغستان.

الرحلات الهندية

٢١-على أعتاب الهملايا.
٢٢- بلاد الهند والسند : باكستان.
٢٣- في الشمال الغربي من الهند.
٢٤- في أقصى شرق الهند.
٢٥- وسط الهند.

الرحلات الآسيوية

٢٦- رحلات في بلاد الملايو.
٢٧- في مهد الترك : تركستان الشرقية.
٢٨- في أحناء إندونيسيا.
٢٩- في شمال شرق آسيا.
٣٠- جمهورية قازاغستان : ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.
٣١- إلى تاجيكستان، ثانية.
٣٢- قازاغستان بعد أوزبكستان وتاجيكستان.

رحلات في القارة الأمريكية الجنوبية

٣٣- الحل والرحيل في بلاد البرازيل.
٣٤- رؤية جديدة للجانب الأبعد من أمريكا الجنوبية.
٣٥- رحلة الجنوب.
٣٦- شمال البرازيل.
٣٧- وسط البرازيل.
٣٨- فنزويلا وترينداد.
٣٩- رحلات فنزويلية.

رحلات في أمريكا الشمالية

٤٠- وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية.
٤١- تلبية النداء لزيارة كندا.

الرحلات الصينية

٤٢- في وسط الصين.

الرحلات الكاريبية

٤٣- المارتينيك وبريادوس.
٤٤- دومنيكا وقواديلوب وأنتيقوا.
٤٥- بور توريكو وجمهوري الدومنيكان.

رحلات بلقانية

٤٦- كرواتيا وسلوفينيا.

أستراليا وجنوب المحيط الهادي.

٤٧- في شمال أستراليا.
٤٨- في جنوب أستراليا.
٤٩- في شرق أستراليا.
٥٠- في غرب أستراليا.
٥١- غينيا الجديدة آخر الغينيا زيارة.
٥٢- الإلمام بالمحيط الهادئ م أستراليا إلى جزيرة قوام.

رحلات في جمهورية الموز

٥٣- بلاد المكسيك وقواتيمالا.
٥٤- السفر والأوبة من كوبة.
٥٥- التشريق بعد التغريب ، بحر الكاريب.

الرحلات الروسية

٥٦- جمهورية القبائل الروسية.
٥٧- إلى الشرق الأقصى الروسي.
٥٨- مقال في السفر إلى منط الأورال.

الرحلات السيبيرية

٥٩- غرب سيبريا.
٦٠- شرق سيبريا.

مطبعة النرجس - ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦

ردمك: ٥-٣-٩٠٣٠٩-٦٠٣-١